الإيقاظ من الهجعة

ببعض خطب الجمعة

خُطب في:

١- الإيمان بالله

٢- توحيد العبادة (الألوهية)

٣- توحيد الأسماء والصفات

٤- التوسل

٥- بيان معنى «لا إله إلا الله»

٦- الأمر بالاتباع والتحذير من الابتداع في الدين «اتّبعوا ولا تبتدعوا»

٧- توحيد المقصد والسبيل في الدين أو افتراق الأمة وبيان صفات الفرقة الناجية

٨- عظم فضل الصلاة وأهميتها

٩- حقيقة الحياة الدنيا

ألقاها

محمد بن إبراهيم

المصري الأثري

- غفر الله له -

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

رقـــم الإيـــداع: ١٧٩٣٣/ ٢٠١٥

مكتب العقيدة الإسلامية

٩ شارع العقاد – ميدان ابن سندر – القاهرة

جوال: ٠١٢٢٧٦٨٩٨٩٦ (٠٠٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) الإيمان بالله*

❁ الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد

---

* خُرِّجَت الأحاديث والآثار بمكتب العقيدة الإسلامية، وما كان من تعليق للشيخ جعلنا بعده (م). (الناشر)

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة].

ويقول النبي ﷺ لما سأله جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن الإيمان، قال صلوات الله وسلامه عليه: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١)... الحديث.

الإيمان بالله هو أصل الدين وأصل أصول الدين، لكن ما هو الإيمان بالله؟ وكيف يكون الإيمان بالله؟ وهل كل من أثبت وجود الله تعالى أو اعتقد وجود الله يكون مؤمنًا بالله؟

إن الإيمان بالله تعالى يتضمن الإيمان بعدّة أمور:

أول هذه الأمور: الإيمان بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: وهذا وحده ليس كافياً حتى

---

(١) جزء من الحديث المشهور الذي أخرجه مسلم بطوله (٨) من طريق يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكذا أخرجه بنحوه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من طريق إسماعيل بن إبراهيم، عن أبي حيان، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يكون المرء مؤمناً بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. فإثبات وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أمر فَطَر الله تعالى عليه الخلق جميعاً، حتى إنّ من أنكر وجود الله كفرعون والملاحدة من بعده يجدون في قلوبهم ضرورةً، ويجدون في قلوبهم شيئًا لا يستطيعون أن يغيروه أو ينكروه؛ وهو اعتقاد أن هناك قوة خفية - كما يزعمون - لا يستطيعون إنكارها، هذه القوة التي عبّروا عنها هي عند المؤمنين الذين يؤمنون بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إنما تعني الله، الذي خلق كل شيء، وأوجد كل شيء، وبيده كل شيء وهو على كل شيء قدير، وهو القوي المتين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

الإيمان بوجود الله تعالى هذا أمر مغروس في الفِطَر، حتى إن فرعون لما أنكر وجود الله تعالى وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وقال أيضا: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات].

كان يقول هذا وهو في قرارة نفسه يعلم كذب ما يقول، لكنه كان يقول هذا بلسانه مكابرةً وعناداً واستكباراً وفساداً في الأرض، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾[النمل].

إذاً لا ينبغي أن نؤمن بوجود الله فقط؛ لأن هذا أمر يشترك فيه عامة الناس أو أكثر الناس، أو كلّ الناس إلا النادر، الكلّ يؤمن بوجود الله، لكن هل الكلّ يوحِّد الله؟!

إذا آمنت أن هناك ربًّا خلق هذا الكون ورزق أهله ودبّر كل ما فيه وأوجد كل ما فيه، فإن هذا وحده لا يجعلني أدخل الجنة.

إنما أكون مؤمناً إذا آمنت بوجود الله أولاً، ثم آمنت بربوبيته، وبألوهيته وبأسمائه وصفاته.

فلا يصح إيماني إلا إذا وحدته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأُوَحِّدُهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأن أؤمن بوجوده، أن أوحده في ربوبيته، أن أوحده في ألوهيته، أن أوحده في أسمائه وصفاته.

ما معنى توحيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في ربوبيته؟

أن تؤمن أن الله تعالى موجود، وأنّ هناك ربًّا خلق هذا الكون، فالإيمان بالربوبية – وهو توحيد الربوبية – أن تعتقد إفراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالخلق والملك والتدبير؛ يعني: أن تعتقد أن الخالق المدبّر الرازق المالك لهذا الكون الذي انفرد بهذا كلّه هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا شريك له في شيء من ذلك، فلا أحد يملك مع الله ولا أحد يملك ملكًا مطلقًا إلا الله، ولا أحد يدبر الكون مع الله.

الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الذي انفرد بخلق السموات والأرض وما فيهما وانفرد بتصريف الأمور وانفرد بخلق كل المخلوقات سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ينبغي أن تعتقد بهذا اعتقاداً جازماً بعد إيمانك بوجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وهذا وحده – أيضاً – ليس كافياً حتى تكون مؤمناً بالله كما أمرك الله، فإنك إذا آمنت بوجود الله وآمنت بأن الله هو الخالق الرازق المدبّر لا تدخل الجنة بمجرد هذا، لأنه بقيت أمور لابدّ أن تُفْرِدَ الله تعالى بها، لأنك إذا نظرت إلى حال المشركين الذين بعث فيهم محمد ﷺ تجدهم آمنوا بوجود الله وآمنوا أنه هو الخالق المدبر، آمنوا بهذا.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الزخرف].

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧].

ويقول سبحانه آمرا نبيه ﷺ أن يقول لهؤلاء: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنون]، أي: أن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ كانوا يعتقدون أن الأرض ومن فيها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون].

إذاً... الله سبحانه تعالى ذكر أن المشركين كانوا يعتقدون أن السماوات والأرض

ومن فيهما لله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنبكوت: ٦١].

إذاً... لماذا كان هؤلاء المشركون مشركين؟ ما الذي جعلهم مشركين؟ لماذا قاتلهم النبي ﷺ؟ لماذا كفَّرهم النبي ﷺ؟ لماذا دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان الحق والتوحيد الحق؟

لأنهم لما كانوا يعبدون، لما كانوا يذبحون وينذرون ويستغيثون ويستعينون ويدعون ويتقربون؛ لم يكونوا يفردون الله تعالى بهذه العبادة، بل كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى، فمع أنهم لم يتركوا عبادة الله بالكلية، بل كانوا يصرفون أنواعاً من العبادات لله، لم يدخلهم هذا في الإسلام.

فالمشكلة أنهم أشركوا مع الله غيره، أنهم جعلوا لله أنداداً يطلبون منهم ويلجأون إليهم، وهؤلاء الأنداد الذين اتخذوهم من دون الله لم يجعلوهم مساوين لله تعالى من كل وجه، بل كانوا يقولون هؤلاء ليسوا إلا شفعاء بيننا وبين الله، فهؤلاء الآلهة وهؤلاء الصالحون وهؤلاء الذين نتقرب إليهم، نتقرب بهم إلى الله، ليسوا إلا شفعاء بيننا وبين الله، وليسوا إلا وسطاء بيننا وبين الله، أما إن سألتهم من خلقهم؟ فيقولون: الله، من رزقكم؟ الله، من يحييكم؟ الله، من يميتكم؟ الله، من تعبدون؟ قالوا: نعبد الله لكننا نعبد معه آلهة أخرى حتى تكون هذه الآلهة واسطة بيننا وبين الله، ومُزَلِّفَةً - أي مُقَرِّبَةً - لنا إلى الله.

أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لكي يدعوا هؤلاء إلى الصراط المستقيم وإلى توحيد ربّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإلى إفراده بالعبادة كما أفردوه - إجمالاً - بالخلق والملك والتدبير.

كما أفردت الله تعالى بالخلق والملك والتدبير وأيقنت أنه لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ولا يدبّر الأمر إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كان منبغياً عليك وواجباً عليك أن تعتقد أنه لا معبود بحق إلا الله، وأن تصرف العبادة لله تعالى وحده، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، أنه لا معبود بحق إلا الله، لا تصرف العبادة لأحد غير الله؛ حتى لو كنت تعتقد أن هذا الأحد أو أن هذا الشخص أو أن هذا النبي أو الولي أو الصالح ليس إلا شفيعاً لك ومقرباً إلى الله.

الله تعالى رد على المشركين الأولين في اتّخاذهم الشفعاء بينهم وبين الله قال سبحانه في أول سورة الزمر: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر]، هذه هي حجتهم، يقولون: نحن نعبدها فقط حتى تكون مُزَلِّفةً لنا إلى الله، وحتى تكون واسطة بيننا وبين الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر].

وفي سورة يونس ذكر الله تعالى هذا عنهم أيضاً فقال سبحانه: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴾ [يونس: ١٨]، هم يعلمون هذا، أنها لا تضرهم ولا تنفعهم، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس].

أرسل الله الرسل وأنزل الكتب كي يدعوا هؤلاء إلى عبادة الله وحده، وكما قلت: كانوا يعتقدون أن الخالق وأن المالك وأن المدبِّر هو الله، بل كانوا يطوفون حول البيت كما في صحيح البخاري وغيره ويقولون في تلبيتهم: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك».

هذا قول ناس يؤمنون بوجود الله أم لا؟ نعم يؤمنون بوجود الله، قول ناس يؤمنون بأن الله هو الخالق المالك المدبر؟ نعم قول ناس يؤمنون بهذا، لكن هنا موضع الشرك عندهم: يقولون إلا شريكاً هو لك، - يعني في العبادات التي تصرف إليه -ومع هذا يعترفون أن هذا الشريك مملوك لله وأنه ملك له، فقالوا: «إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك».

فإذا قيل لهم: لماذا تعبدون هذا الشريك؟

قالوا: حتى يكون واسطة بيننا وبين الله، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أبطل هذه الوساطة، لا نحتاج - حتى نتقرب إلى الله - إلى واسطة بيننا وبين الله أو إلى أحد يشفع لنا

ويزلفنا إلى الله مهما كان عندك من الذنوب والمعاصي... إلخ.

فإنك لا تحتاج إلى بشر أو إلى حي أو إلى ميت أو إلى إنس أو إلى جن أو إلى ملك حتى تتوب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لسنا كاليهود والنصارى، يذهب الفرد منهم إلى قسيسهم فيقول له استغفر لي أو أعطني صك الغفران، ليس عندنا هذه الوسائط من الأحياء، كذلك ليست عندنا واسطة برجل ميت، بأن تذهب إلى قبر صالح أو إلى قبر ولي أو نبي وتقول: يا سيدي فلان افعل كذا وكذا. أنت إذا فعلت هذا فقد صنعت عين ما كان المشركون الأولون يفعلونه، وهم الذين بُعث فيهم النبي ﷺ مأموراً بأن يدعوهم إلى إخلاص العبادة، وإلى الإسلام لله، وإلى الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنهم مع إيمانهم بوجود الله ومع إيمانهم بأنه الخالق الرازق المدبر ومع إيمانهم بأسماء الله وصفاته في الجملة، لما أخلُّوا بتوحيد العبادة لم يكونوا مؤمنين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المؤمنين به وأن يثبتنا على الإيمان حتى نلقاه.

۞ الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي أنار لنا سُبل الحياة، وشرع لنا ديناً قد ارتضاه، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم رسل الله، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه وبعد:

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمرنا أن نفرده بالعبادة وأخبرنا الله سبحانه في كتابه أن التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة هو دين جميع المرسلين ودين جميع المؤمنين به المسلمين له من أول ما خلق الله تعالى الخلق.

يقول الله تعالى مبينًا دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، والطاغوت هو كل ما يعبد من دون الله.

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما يذكر قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في سورة الأعراف، وسورة هود، وفي غيرها من السور يقول: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ ﴾ [الأعراف: ٦٥، هود: ٥٠]، ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ ﴾ [الأعراف: ٧٣، هود: ٦١].

فكان أول شيء يبدأ به الرسل في دعوة أقوامهم هو دعوتهم إلى التوحيد فقبل دعوتهم إلى الصلاة، إلى مكارم الأخلاق، قبل التزام الآداب، قبل الانتهاء عن الفواحش والمنكرات والزنا والسرقة، قبل كلّ هذا، كان البدء بدعوة التوحيد

لماذا؟

لأنّ هذا التوحيد هو أساس الإيمان، وهو أساس النجاة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمهما كان عند الإنسان من التقصير والذنوب، مهما كان عنده من العصيان، من التفريط في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذا كان أصل إيمانه صحيحاً، وإذا ما كان توحيده على ما أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنه يضمن النجاة عند الله تعالى في الآخرة.

أما إذا اختل التوحيد، أما إذا وُجد الخلل في التوحيد، فإنك تجد اعتقادات في المجتمع المسلم أن هناك من الأولياء والصالحين من يملك التصرف في الكون، ومن يملك العطاء والمنع، ومن يملك الإحياء والإماتة، ومن يملك الضر والنفع، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ووجدت عقائد في المجتمع المسلم تقول لا بأس إذا ما نزلت بك نازلة أو اجتاحتك جائحة أو أصابتك مصيبة؛ أن تفزع إلى غير الله أو أن تلجأ إلى غير الله، فوجدت كثيراً من الناس إذا ما نزلت بهم نازلة أو أصابتهم مصيبة أو وجدوا أنفسهم في ضيق وشدّة، إذا هم يفزعون إلى قبر ذلك الصالح، وإلى ذلك الوليّ يطلبون منه حاجاتهم ويطلبون منه تفريج كرباتهم، ويقولون له أغثنا ويقولون له أمدّنا، وغفلوا عن ربهم وخالقهم وإلههم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا تجوز العبادة إلا له.

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾

[الأحقاف].

ويقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر].

ويقول سبحانه: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤].

فالذين يدعونهم من دون الله لا يستجيبون لهم أبدًا: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [النحل].

هؤلاء الذين يدعوهم الناس من دون الله كما يفعل بعض الناس فيدعو المسيح عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبعضهم يدعو العذراء مريم - رضوان الله عليها -

وبعضهم يدعو عزيراً، وبعض الناس يدعو رسول الله محمداً ﷺ، وبعضهم يدعو الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتختلف الأسماء والمسميات لكنّ الشرك هو الشرك في أي دين كان وتحت أي اسم كان.

يقول الله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، كل هؤلاء الذين يدعون من دون الله: ﴿ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١ ﴾، اقرأ كلام الله تعالى في سورة النحل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٢٢ ﴾.

نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا من المشركين وأن يمسكنا بهدي وطريقة سيد المرسلين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، وأذلّ الكفر والكافرين، اللهم عليك بأعداء الدين، اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئنًّا رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم وفِّق حكام المسلمين إلى ما تحبّ وترضى، وخذ بنواصيهم إلى البرّ والتقوى، اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين، واحشرنا في زمرة خاتم النبيين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

(٢) توحيد العبادة (الألوهية)

❁ الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

بينت أن الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتضمن الإيمان بوجوده والإيمان بربوبيته والإيمان بألوهيته والإيمان بأسمائه وصفاته، وأنه لا يكفي الإيمان بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يكفي الإيمان بربوبية الله، يعني: لا يكفي في الإيمان أن تؤمن

بأن الله قد خلقك ورزقك ويحييك ويميتك، كلّ هذا لا يكفي في الإيمان بالله تعالى بل لابدّ مع ما تقدّم أن تفرد الله سبحانه بكل أنواع العبادة.

ربنا سبحانه في غير ما آية من كتابه لما ذكر لنا أحوال عامة المشركين في أزمان عامة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، خاصةً زمن نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فلما ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحوال هؤلاء بين تعالى أنهم كانوا يعتقدون وجود الله، وكانوا يعتقدون أن خالقهم ورازقهم وملكهم ومالكهم ومدبر أمرهم والذي يحييهم ويميتهم هو الله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنبكوت: ٦١]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الزخرف]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[الزخرف: ٨٧]، ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون].

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أيضاً: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ

ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر].

أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هؤلاء الذين آمنوا بأن الله هو الذي خلقهم ورزقهم ويميتهم ويحييهم أن يفردوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده بالعبادة لأنّهم مع إيمانهم بكل ما ذُكر لم يكونوا يفردون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة، بل كانوا يشركون مع الله سبحانه آلهة أخرى يقولون: ما نعبد هذه الآلهة إلا لتكون مقرّبةً ومُزلِّفةً وواسطةً بيننا وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أخبر الله تعالى عن ذلك في سورة الزمر: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۖ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، يعني لسنا نعبدهم لأنهم يملكون لنا نفعاً أو ضرًّا أو يملكون موتاً أو حياةً أو نشوراً.

قالوا: إنما نعبدهم حتى يقرِّبونا إلى الله زلفى أي حتى يكونوا واسطة بيننا وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس]، وهم

يعلمون هذا ويقولون لسنا نعبدهم إلا لأننا نرجو شفاعتهم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونرجو أن يكونوا وسطاء بيننا وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذه الشفاعة التي نفاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر].

وأسقط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كلّ الوسائط التي بين الخلق وبين خالقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا أردت أن تدعو الله سبحانه، وإذا أردت أن تتوب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإذا أردت أن تستغفر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من كل ما مضى منك من ذنوب وآثام، فإنك لا تحتاج أن تذهب إلى قسيس في كنيسة أو إلى راهب في دير أو حتى إلى إمام مسجد أو إلى مقبور في قبره، لا تحتاج إلى كل هذا إنما تسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتتوجه إليه مباشرة لا واسطة بينك وبينه.

كان المشركون يعتقدون بأن هؤلاء الشركاء وما يعبدون مخلوقون مملوكون لله، وكانوا يقولون كما في صحيح البخاري وهم يطوفون حول البيت الحرام: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك».

يثبتون لله شريكاً ومع هذا يقولون لله إنك تملك هذا الشريك وما ملك، ثم إذا بهم يلجأون إليه - أي لهذا الشريك المعبود مع الله -وإذا بهم يستغيثون به

وينذرون له ويذبحون له وإذا خوطبوا وكُلِّموا في هذا قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وخالقنا ورازقنا هو الله.

بل إذا اشتدّت بهم الشدائد ونزلت بهم النوازل وأصابهم الضرّ في البرّ والبحر ضلّ من يدعون إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذا بهم لا يدعون إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يستغيثون إلا بالله، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

ويقول سبحانه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

فكانوا إذا اشتدت بهم الشدائد في البرّ والبحر إذا بهم ينسون كل آلهتهم التي يدعونها من دون الله، وإذا بهم ينسون كل هؤلاء الأنداد الذين جعلوهم لله أنداداً، وإذا بهم يلجأون إلى من يعرفون أنه يقدر على تخليصهم، خالق الخلق وخالق العباد الذي خلق السماوات والأرض، والذي بيده ملكوت كل شيء، فهؤلاء الذين يعتقدون أن الله هو الخالق المالك المدبر، والذين يؤمنون إيماناً لا ريب فيه بأن الله موجود ومع هذا يصرفون أنواعاً من العبادات لغير الله – هذا مع أنهم يصرفون أنواعاً من العبادات لله تعالى أيضاً – لكنهم يشركون فيصرفون بعض العبادات لله، وبعض العبادات لغير الله، فعبادات تصرف لله وعبادات

تصرف لغير الله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام].

فيصرفون أنواعاً من العبادات لله ويصرفون أنواعاً من العبادات لغير الله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ألزم الله تعالى هؤلاء بما يعرفون من خلق الله تعالى الخلق، ومن إيجاد السماوات والأرض، ومن ملكه التصرف في هذا الكون، بأن يقروا بتوحيد الإلهية، أي أن يعتقدوا أنه لا إله إلا الله، يعني أنه لا معبود بحق إلا الله، وأنه لا يُعبد أحد بالحق إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أرسل الرسل وأنزل الكتب لهذا، يقول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة]، وهم يعلمون ذلك، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢]، ولو سألتهم وقلت لهم: من صنع كل هذا ومن فعل كل هذا؟ لقالوا: الله هو الذي أنزل من السماء ماء هو الذي جعل الأرض فراشاً... إلخ.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي خلق كل شيء ومع هذا لا يفردونه بالعبادة، قال

تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة]، وتأمل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فقد وجب بذلك على من كان من أمة محمد ﷺ أن يستقيم على التوحيد الذي أرسل الله به الرسل وأنزل به الكتب، التوحيد الذي جاء القرآن الكريم كله في تقريره، كما قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، فالقرآن كله توحيد، القرآن كله في التوحيد من أوله إلى آخره.

فلا تكاد تجد سورة من كتاب الله إلا وفيها التوحيد، إما أن تجد فيها الحث والحض على التوحيد وبيانه، وإما أن تجد فيها بيان الشرك والتحذير منه، وإما أن تجد البيان لما أعد الله تعالى لأوليائه أهل التوحيد في الجنة، وإما أن تجد البيان لما أعد الله تعالى لأعدائه أهل الشرك في الآخرة، وإما أن تجد البيان لما كان عليه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في الدنيا من دعوة إلى التوحيد، ومن تحمل للأذى، ومن تحمل للاضطهاد في سبيل هذا؛ وإما أن تجد الذكر لهؤلاء الأقوام الذين عادوا دعوة التوحيد ورفضوا دين الله الحق ورفضوا إفراد الله تعالى بالعبادة فلنتأمل كتاب الله، اقرأ القرآن وأنت تجد التوحيد ناصعا بينا واضحا في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن ديننا لا نأخذه من الشرق ولا من الغرب إنما نأخذه من كتاب رب العالمين ومن سنة خاتم المرسلين ﷺ.

نسأل الله تعالى أن يمسِّكنا بالكتاب والسنة حتى الممات.

❁ الخطبة الثانية:

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين وإمام المرسلين نبينا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغر الميامين.

أما بعد، كان المشركون يفهمون معنى «لا إله إلا الله»، وكانوا يفهمون أن ذلك يقتضي منهم ترك عبادة كل معبود من دون الله، علموا هذا جيداً لذلك أَبَوْا أن يقولوا لا إله إلا الله، ولما جاءهم نبينا محمد ﷺ داعياً إلى إخلاص العبادة لله، قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ [ص]، تعجبوا وقالوا: هذا شيء عُجاب، أجعل الآلهة إلهاً واحداً فأبوا أن يقولوا لا إله إلا الله مع اعتقادهم أن المتفرد بالخلق والملك والتدبير هو الله، لأن الإله هو المعبود وهم كانوا يعتقدون أن الخالق والمالك والمدبر هو الله، لكن الله تعالى لا يُفرد بالعبادة عندهم، بل تُعبَد معه آلهة أخرى، هذه الآلهة تكون مقرّبة ومزلِّفة وتكون واسطة بينهم وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلما جاءهم النبي ﷺ، وأمرهم أن يقولوا لا إله إلا الله، هذه الكلمة التي تدين لهم بها العرب والعجم، أبوا أن يقولوها لأنهم علموا أن فيها وفي قولها ونطقها وعمل القلب والجوارح بها، ترك عبادة كل معبود سوى الله، وألا تصرف كل أنواع العبادة وكل أفراد تلك الأنواع إلا لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وللأسف كثير من المتأخرين ممن ينتسب إلى أمة محمد ﷺ قال هذه الكلمة بلسانه لكن فهمه لها أقلّ من فهم المشركين بل فهمه لها بالنسبة لفهم

المشركين ربما يكون: لا شيء!!

المشركون فهموا كلمة التوحيد، وكانوا أهل فهم للغة العربية، وكانوا يفهمون أن الإله هو المعبود، من أَلَهَ يألَه إلَهَةً: عَبَد يَعبُدُ عبادةً، فالإله هو المألوه هو المعبود، فلذلك أبوا أن يقولوها.

وكثير من الناس الآن يقول هذه الكلمة بلسانه لكنه لا يفهم ما تدل عليه هذه الكلمة، فلا إله إلا الله، يعني أنه لا معبود بحق سوى الله، لكن هؤلاء يقولون لا إله إلا الله، ويقولون مدد يا رسول الله، أغثنا يا رسول الله، أنا ذاهب عندي نذر للسيد البدوي، أنا ذاهب أذبح عند قبر كذا، هذا يضادّ التوحيد، هذا يضادّ معنى لا إله إلا الله.

فإذا شهدت أن لا إله إلا الله، وقلت بلسانك لا إله إلا الله، لابدّ أن تفهم معنى هذه الشهادة، هذه الشهادة تعنى أنك لا تعبد أحداً إلا الله، بمعنى أنك لا تصرف شيئاً من العبادة إلا لله، فلا تركع إلا لله، ولا تسجد إلا لله، ولا تتوجه ولا تدعو ولا ترجو ولا تستغث ولا تستعن ولا تطلب المدد إلا من الله، كل ما لا يقدر عليه المخلوق لا يجوز لك أن تطلبه إلا من الله.

فالذبح يكون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام]، فوجب على العبد المؤمن الذي

ينطق بلا إله إلا الله أن يكون هذا المعنى قارًّا بقلبه، وأن تصدق جوارحه هذا المعنى، بمعنى أن لا يصرف شيئًا من العبادة لغير الله، فلا ينذر لغير الله، ويعلم أن هذا المقبور مخلوق مثله، وأن هذا المقبور مهما كان نبيًّا، مهما كان صالحاً، هو في النهاية من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم - فضلاً عن غيرهم - نفعاً ولا ضرًّا ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

الله تعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف]، هذا الله تعالى يأمر خير الخلق وسيد الناس أن يقول هذا الكلام، يأمر رسول الله ﷺ وهو من هو ﷺ، ومع هذا يأمره الله تعالى أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، لا يملك ﷺ لنفسه فضلاً عن غيره نفعاً ولا ضرًّا، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، أي ما شاءه الله هو الذي يكون، ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾، فلو كان النبي ﷺ يعلم الغيب لاستكثر من الخير.

النبي ﷺ مع كونه رسولاً من عند الله، مع كونه نبيًّا يوحى إليه من الله، مع كونه سيد الناس، وخير خلق الله، مع هذا كله لم يكن يعلم الغيب إلا إذا أطلعه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن

رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ [الجن].

هذا هو رسول الله ﷺ، فما بالك بمن يلجأ إلى غير رسول الله ﷺ يطلب المدد ممن هو دون رسول الله، يستغيث بمن هو دون رسول الله.

تجد كثيراً من الناس إذا نزلت بهم نازلة أو أصابتهم مصيبة أو تجددت لهم نعمة وأرادوا أن يشكروا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يذهبون إلى قبر الصالح الفلاني أو قبر الولي الفلاني، وإذا بهم لا يشكرون الله تعالى ويفردونه بالشكر بل يقول أحدهم أنا قبل نجاحي، أنا قبل أن يرزقني الله الولد ذهبت إلى قبر سيدي فلان ودعوته وطلبت منه، وبعضهم يقول: دعوت الله عند قبر فلان، وهذا أيضاً لا يجوز، لأنّه بدعة ولأنه من وسائل الشرك، ونحن منهيون عن مثل هذا، منهيون عن اتخاذ القبور مساجد، منهيون عن إتيان القبور التي تدعى من دون الله، والتي تعظّم من دون الله، فعندنا في الإسلام لا يعظَّم قبر ولا صنم ولا وثن، الإسلام بعيد كل البعد عن كل شرك وكلّ وسيلة إليه.

النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي الهياج الأسدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، -وفي رواية: ألا تدع صورة إلا طمستها- ولا قبراً مشرفاً - أي: عالياً

- إلا سوّيته[1].

المرحلة الأولى أن يقول قائل سأذهب أعبد الله عند قبر ذلك الصالح أو هذا الولي، ثم يتدرج الأمر بهم وبأبنائهم فإذا بهم ينتقلون من دعاء الله عند ذلك الصالح إلى دعاء ذلك الصالح نفسه، فإذا بهم يدعون المقبور في هذا المكان بدلاً من أن يدعوا ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كثير من الناس يفعل هذا، وبعض من يفعل ذلك من أصحاب الشهادات الدنيوية العليا!! فتجده يقف أمام قبر زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أو الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم أبرياء من كلّ هذا، أبرياء مما يكون أمام القبور التي تنسب إليهم من الشركيات والمنكرات.

وتجد الواحد منهم يحكي قصته ويشتكي للعبد المخلوق المقبور، ويتوجع ويطلب الغوث والعون والمدد منه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما المؤمن الموحد الذي يشهد أن لا إله إلا الله لا يتعلق قلبه تعلق التعبد إلا بالله، فإذا ما نزلت به نازلة أو أصابته مصيبة أو أراد أن يشكر على النعمة فإنه لا يشكر إلا الله، ولا يستغيث إلا بالله، ولا يصرف عبادة من العبادات لغير الله رب العالمين، هذا المعنى أوضحه الله تعالى في كتابه، فيما لا نستطيع الآن أن نحصيه من الآيات.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩) وغيره من طريق سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي وائل، عن أبي الهياج الأسدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فوجب علينا عباد الله أن نكون محققين لتوحيد ربنا، وأن نسعى في تعلم هذا التوحيد، وأن نحرص على الثبات عليه، ولسنا أفضل من الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي خاف على نفسه الشرك، وقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم]، كثير من الناس إذا قيل له خف الشركَ يقول أنا موحِّد، ولا يمكن أن أشرك في يوم من الأيام، إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يخاف على نفسه الشرك، ويسأل الله أن يثبته على التوحيد، هل نحن أفضل من صحابة رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ يجلس معهم -وهم أفضل الناس بعد الأنبياء -ويذكِّرهم توحيد الله ويقول لهم: «**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة**»(١).

ويقول لهم: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**»(٢)، كما ثبت في الصحيح.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣) وغيره من طريق هشام، عن أبي الزبير، عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري (١٢٩) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ذُكر لي أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال لمعاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فذكره.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٩٧)، (٦٦٨٣) وغيره من طريق الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ويردف النبي ﷺ معاذاً خلفه، وهو أعلم الأمة بالحلال والحرام، ويقول له: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟**»، فيقول: الله ورسوله أعلم. فيقول: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**»(١)، مع أكابر الصحابة يتكلم في التوحيد، ويظل يحثّهم ويحضّهم عليه حتى وقت وفاته ﷺ ، ظلّ يحذِّر من الشرك، بل من الوسائل التي تفضي إلى الشرك، كما في حديث عائشة في الصحيح تقول: لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، كلما اغتم كشفها، ويقول: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، يحذِّر ما صنعوا(٢).

وجندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في صحيح مسلم يقول: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٦٧)، (٦٢٦٧)، (٦٥٠٠)، ومسلم (٣٠)، كلاهما من طريق همام، حدثنا قتادة، حدثنا أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥)، (٣٤٥٣)، (٥٨١٥)، ومسلم (٥٣١)، كلاهما من طريق الزهري، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالا: وذكر الحديث.

مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»[1].

وبعد بناء المساجد عليها إذا بهم قد عبدوها وسجدوا لها من دون الله، وقد رأيت بعيني رأس من يسجد لقبور بعض الصالحين سجوداً ويقبل الأعتاب والحديد ثم إذا به يقف خاشعاً متضرعاً إلى صاحب القبر، وإذا به يخاطبه ويناديه ويبثّ إليه شكواه وهمومه، وإذا به يطلب منه التفريج وأن يباعد بينه وبين خطاياه ومصائبه وإنا لله وإنا إليه راجعون. وكل هذا محض حقّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عمّا يشركون.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يثبتنا على التوحيد والسنة حتى الممات وأن يجنبا الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يحيي قلوبنا بذكره، اللهم انصر الإسلام وأعزّ المسلمين، وأذلّ الكفر والكافرين، اللهم عليك بأعداء الدين من كل ملّة يا رب العالمين، اللهم وفق ولاة أمور المسلمين لما تحب وترضى، وخذ بنواصيهم إلى البر والتقوى، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) توحيد الأسماء والصفات

❁ الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

مازال الكلام على الإيمان بربّ العالمين جَلَّ وَعَلَا، وأنّ هذا الإيمان يتضمن الإيمان **بأربعة أمور:**

أن نؤمن بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأن نؤمن بربوبية الله تعالى وأن نؤمن بألوهية الله تعالى وأن نؤمن بأسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه الثلاثة الأخيرة هي أقسام التوحيد والتي لا عزّ ولا فلاح ولا نجاح لنا في الدنيا والآخرة على المستوى الفردي والجماعي إلا بتحقيقها؛ توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

* **فنحقق توحيد الربوبية**: بأن نؤمن بأنه لا خالق ولا مالك ولا مدبر ولا محيي ولا مميت إلا الله.

* **وتوحيد الألوهية**: بأن نعتقد أنه لا معبود بحق إلا الله فنؤمن بمعنى لا إله إلا الله ولا نأتي بناقض يناقض هذه الكلمة العظيمة، فنقول لا إله إلا الله بألسنتنا ونعتقد هذا المعنى في قلوبنا ونحقق هذا بجوارحنا؛ فلا نصرف شيئاً من العبادة لغير الله فلا نركع ولا نسجد إلا لله، ولا نخضع إلا لله، ولا نستغيث ولا نستعين إلا بالله، ولا نطلب المدد إلا من الله... إلخ. قلوبنا دائماً تكون معلّقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا ربّ غيره ولا إله سواه.

* **وكذلك أن نحقق توحيد الأسماء والصفات**: بأن نؤمن بأسماء الله تعالى وصفاته كما جاءت في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، وأن نثبت لله تعالى هذه الأسماء والصفات كما جاءت في الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير

تكييف ولا تمثيل، ونؤمن بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ومازال الكلام في توحيد العبادة طويلاً، لكن أتكلم اليوم في مسائل من توحيد الأسماء والصفات، **توحيد الأسماء والصفات**: هو أن نفرد الله تعالى بما سمّى ووصف به نفسه في كتابه، وأن نؤمن بذلك ونثبته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل كما أخبر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن نفسه.

وهو أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من غيره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، يجب أن نصدّقه وأن نؤمن به، وأن نثبت لربنا جلّ وعلا ما أثبت لنفسه، من غير أن ندخل في ذلك متأولين بآرائنا أو متوهمين بأهوائنا.

فنؤمن بأن الله تعالى له سمع وله بصر وله يد وله وجه كما أخبر ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

نؤمن بأنه استوى على العرش سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.

نثبت كل هذه الصفات لله تعالى على الحقيقة، يعني نعتقد أن لله تعالى سمعاً وبصراً، وأن لله وجهاً ويداً، وأنه استوى على العرش، وأنه عالٍ على خلقه كما أخبر سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأن نؤمن بهذا إيماناً حقيقيًّا كما أخبر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا نسبة لله تعالى في هذا بشيء من خلقه لأن الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ

ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]، فالله تعالى أثبت أن له يدين في كتابه ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤]، لكنّ يديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليست كأيدي المخلوقين، أثبت أنّ له وجهاً قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ووجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يماثل وجه أحد من المخلوقين.

جمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا المعتقد الصافي النقي الذي لا تعطيل فيه ولا تمثيل في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]، فبيّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه لا يماثله أحدٌ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، لكنه مع هذا أثبت وبيّن أنّ له سمعاً وبصراً وأنّه سميع بصير، فكما أنّ لنا سمعًا وبصرًا فإنّ لله سمعاً وبصراً لكن سمع الله وبصره ليس كأسماعنا وأبصارنا.

ومما يجب في هذا الباب أن نؤمن بعلو الله على خلقه، فعلو الله تعالى من صفاته الذاتية التي يجب أن يؤمن بها كل مسلم، وأن يقرّ لله تعالى بها، وأن يقرّ بأنواع العلو الثلاثة: علو القهر، وعلو الشأن، وعلو الذات.

علو الشأن: أن تؤمن بأن شأن الله تعالى أعلى الشئون، لا شأن فوق شأنه، ولا أحد فوق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل هو العلي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو الأعلى وهو المتعال، كما أخبر وسمى نفسه في كتابه؛ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى]، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ

﴿ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة]، وهو ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد]، أخبر بهذا عن نفسه، وسمّى نفسه بهذا، فكان علوه هذا الذي أثبته لنفسه في كتابه شاملاً لأنواع العلو الثلاثة؛ علو الشأن وعلو الذات وعلو القهر.

الله – تعالى – شأنه أعلى الشئون، إذا فهم المؤمن هذا فإنّ قلبه ينبغي أن يكون معلّقاً بالله جَلَّوَعَلَا وحده؛ وإذا فهم وآمن بأسماء الله وصفاته حقّ الإيمان أن تكون الاستقامة كاملة ومتحققة فيه؛ لأنه يدري معنى هذه الأسماء ويدري معنى هذه الصفات ويدري أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مطلع عليه رقيب عليه، فمع علو الله سبحانه على خلقه ومع كونه في السماء – جلّ في علاه – فإنّه مطّلع على جميع خلقه يعلم ما يقولون وما يفعلون، يسمع كلامهم ويرى مكانهم ويعلم سرّهم وجهرهم، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه].

وعلو القهر: أن تؤمن بأنّ الله تعالى له علو القهر كما أخبر سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مثبتاً علو القهر وعلو الذات له سبحانه في سورة الأنعام: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام]. الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو القاهر فوق عباده فجميع الخلق عبيد لله شاءوا أم أبوا؛ لأن العبودية لله تنقسم إلى قسمين: عبودية كونية، وعبودية شرعية.

فأما العبودية الكونية، والإسلام الكوني فكل الخلق الذين أوجدهم الله حتى

من ادّعى منهم أنه لا يؤمن بوجود الله؛ الكل مضطر شاء أم أبى أن يكون عبداً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تحت تصرفه وقهره، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لائماً هؤلاء الكافرين الذين يتركون دين الإسلام ويذهبون إلى غيره من الأديان الباطلة، ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران]، ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم].

أما العبودية الشرعية، وأما الإسلام الشرعي، فهو الذي يكون من المسلمين ولا يكون من غير المسلمين، لأنّهم هم الذين أعلنوا إسلامهم وصرّحوا بإيمانهم وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

نسأل الله تعالى أن يحفظ علينا ديننا وأن يحيينا عليه وأن يميتنا عليه.

❁ الخطبة الثانية:

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين نبينا محمد وعلى آل بيته الأكرمين، وعلى أصحابه الأشرفين.

أما بعد، يجب أن نؤمن وأن نثبت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفة العلو، علو ذاته على

خلقه، هذا المعنى الذي تدل عليه كثير من النصوص في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفي سنة رسوله ﷺ.

وقد دلّت على علو الله خلقه نصوص زادت على الألف، وأنه فوق السماء مستوٍ على عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بائن من خلقه ليس مختلطاً بخلقه.

وكثير من الناس يقول: «إن الله في كل مكان»! وهذه العبارة تحمل معنى خاطئاً ومعنى صحيحاً:

أما أن الله تعالى في كل مكان بذاته، فتعالى الله عن هذا، وهذه العقيدة الباطلة عقيدة الحلولية من الجهمية وغيرهم، عقيدة منكرة مخالفة ومصادمة لنصوص كتاب ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسنة نبينا ﷺ.

وأما أن نعتقد أن الله في كل مكان بعلمه، بسمعه وبصره، فهذا معنى صحيحٌ دلّ عليه كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ.

يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بدأ الله تعالى الآية بالعلم وختمها بالعلم ليبين أنّ

معيّته لخلقه ليست معيّة بمعنى أنه يختلط بخلقه، إنما هو يعلم أحوالهم ويرى مكانهم ويسمع كلامهم ويعلم سرهم وجهرهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذاً... الله تعالى في كل مكان بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته، معيته لخلقه معية حقيقية، لكنها لا تعني أنه مختلط بخلقه سبحانه، إنما يطّلع عليهم، ويحيط بهم ويعلم ما يقولون.

أما إذا سُئلنا: أين الله؟ فهذا السؤال قد سأله النبي ﷺ لجارية لمعاوية بن الحكم السُّلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في صحيح مسلم أنّه صكّها صكة قال: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظّم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «ائتني بها» فأتيته بها، فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها، فإنها مؤمنة**»(١).

دلّت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة على أن الله تعالى فوق السماء عال على خلقه، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ [الملك]، ويقول ﷺ كما في الصحيح من حديث

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧)، وأحمد (٢٣٧٦٢)، (٢٣٧٦٥)، (٢٣٧٦٧)، ومالك (٢٨٧٥)، وأبو داود (٩٣٠)، (٣٢٨٢)، والنسائي (١٢١٨) وغيرهم كثير، جميعهم من طريق هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أبي سعيد الخدري: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً**»(١). وفي الصحيحين يقول ﷺ متوعداً هذه التي تغضب زوجها: «**والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها**»(٢).

وتقول زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مفتخرة على بقية أزواجه ﷺ وذاكرةً لهم أن الله تعالى زوجها من فوق سبع سماوات كما جاء في سورة الأحزاب؛ تقول: «زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات»(٣).

ومن الأدلة التي تدل على علو الله على خلقه بذاته النصوص التي تدل على نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا، كما في كلام النبي ﷺ في الحديث المتواتر عنه في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وغيره: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له**

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) كلاهما من طريق قتيبة حدثنا عبد الواحد، عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة، حدثنا عبد الرحمن بن أبي نعم، قال: سمعت أبا سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: وذكر الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣٧)، (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦) كلاهما من طريق أبي حازم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**».

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٤٠) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»[1].

فنؤمن بنزول الله سبحانه، ولكننا نفوض في كيفية هذا النزول، لأننا لا نعلم كيف ينزل سبحانه، وإنما نؤمن بأنه ينزل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وكما أننا نثبت ذات الله سبحانه ونعتقد أنه موجود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكننا لا نعلم كيف ذاته سبحانه، فكذلك الأمر في كل صفات الله سبحانه من الاستواء والعلو والنزول وغير ذلك، فنقف عند ما ثبت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ.

ومن أدلة علو الله على خلقه:

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

ومنها: قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وهذه أيضاً من النصوص التي تدلّ على علو الله؛ فذكر الله سبحانه استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه، في ستة منها يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وفي

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨)، كلاهما من طريق مالك، عن ابن شهاب، عن أبي عبد الله الأغر، وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سورة طه، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾.

فيجب أن نثبت وأن نؤمن بهذه الأسماء والصفات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما أثبتها في كتابه، ونحن لا نقول عن الله تعالى شيئاً لم يقله عن نفسه، فلا يجوز أبداً أن نصف الله تعالى بصفات أو نقول عن الله شيئاً لم يقله عن نفسه، ولا يجوز أبداً أن ننزه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما وصف به نفسه كما يفعل الملحدون المعطلون المحرّفون. وعلى الناحية الأخرى لا نفعل كما يفعل المكيِّفون الممثِّلون فلا نقول إن يد الله تعالى كأيدينا؛ كما يقول من يمثّل الله تعالى بخلقه ويتكلم عن الله كما يتكلم عن آحاد وأفراد الناس كما يفعله الممثِّلون المكيِّفون الكافرون.

فالخير كل الخير في التمسك بما جاء في الكتاب والسنة وأن نؤمن أن الله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى]، ينبغي أن يكون هذا الإيمان واضحاً من غير شكّ في قلوبنا، وأن يكون هذا الإيمان محركاً لنا لكي نكون محققين عبودية ربنا سبحانه في كل كبيرة وصغيرة في حياتنا، وأن نعلم أن الله تعالى مطلع علينا يراقبنا في كل وقت وحين، وأنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحلم على خلقه ويصبر على خلقه؛ وليس ذلك عن عجز منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولكنه الغفور الرحيم العليم الحليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ألا يعاقبنا بذنوبنا وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يثبت أقدامنا، وأن يحيينا على الإسلام والسنة وأن يميتنا عليهما، وأن يجنبنا

الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم أعز الإسلام وأعزّ المسلمين، اللهم أذلّ الكفر والكافرين، اللهم عليك بأعداء الدين، اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئنًّا رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم وفِّق ولاّة أمور المسلمين لما تحبّ وترضى، وخذ بنواصيهم إلى البرّ والتقوى.

اللهم اغفر لنا جدّنا وهزلنا وخطأنا وعمدنا، وكل ذلك عندنا.

(٤) التوسل

۞ الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

قدّمنا أنّه لا عزّ ولا فلاح ولا فوز للمسلمين في الدنيا ولا نجاة لهم من النار في الآخرة إلا بتحقيق التوحيد؛ توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

نحقق توحيد الربوبية بأن نؤمن بأنه لا خالق ولا مالك ولا مدبّر إلا الله، فنخاصم هؤلاء الذين يثبتون مع الله تعالى خالقين آخرين، ونخاصم هؤلاء الذين ينكرون وجود الله، ونخاصم القدرية الذين يقولون: إن الله تعالى لا يخلق أفعال العباد ولا يقدرها. ونؤمن بألوهية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وانفراده بهذه الإلهية، هذا هو معنى «لا إله إلا الله»: لا معبود بحقّ إلا الله، فلا نرجو إلا الله، ولا ندعو إلا الله، ولا نتوكل إلا على الله، ولا نستغيث إلا بالله، ولا نطلب المدد إلا من الله، كل عبادة لا تصرف إلا لله، لا ربّ غيره، ولا إله سواه.

ونعتقد أن الله تعالى الذي انفرد بالألوهية، تضمن الإيمان بألوهيته الإيمان بربوبيته، وأن الإيمان بربوبيته يستلزم الإيمان بإلهيته، فنخاصم المشركين القبوريين الذين يدعون مع الله غيره، والذين يسألون غير الله، ويطلبون المدد من غير الله، ويلجأون إلى غير الله، وإذا نزلت بهم النوازل أو اشتدّت بهم الشدائد أو ضاقت بهم الأرض، فإنّهم لا يلجأون إلى الله ولا يفزعون إلى ربهم وخالقهم الذي يملك حياتهم ومماتهم ويملك كل شيء من أمرهم، إنما يفزعون إلى ناس قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [النحل].

ونؤمن بأسماء الله تعالى وصفاته كما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من غير تحريف ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل نؤمن بما جاء في الكتاب والسنة وأن

الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فنخاصم المعطلة المحرفة من الأشعرية والماتريدية والمعتزلة والجهمية، ونخاصم كذلك الممثلة المكيفة المجسمة الذين مثلوا الله تعالى بخلقه، بل ونكون واقفين وقّافين عند حدود ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فنصف الله بما وصف به نفسه، ونسمّي الله تعالى بما سمّى به نفسه، ولا ننفي عن الله شيئًا مما وصف وسمّى به نفسه، فلا نثبت لله تعالى صفة لم يصف بها نفسه، أو اسمًا لم يسمّ به نفسه، فإن أسماءه وصفاته سبحانه توقيفية، لا يجوز أن ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا.

من المسائل التي تتعلق بتوحيد الإلهية مسألة التوسل: خلاصة ما يذكره الناس في معنى التوسل يرجع إلى ثلاثة أقسام، فالناس يطلقون كلمة التوسل على ثلاثة أمور، هذه الأقسام الثلاثة هي:

١- التوسل الشرعي.

٢- التوسل البدعي.

٣- التوسل الشركي.

وأبدأ بآخرها؛ لأنه أعظمها وأهمها في باب التحذير والتنفير عنه، هذا التوسل الذي يسمونه توسلاً ليس توسلاً في الحقيقة، وإنما هو الشرك الذي كان يقوله ويعتقده المشركون الأولون، وأكثر القبوريين لم يقفوا عند هذا الاعتقاد، بل زادوا

وغَلَوا؛ فإنك تجد الكثيرين يفزعون إلى صاحب القبر يلجأون إليه ويطلبون منه ويسألونه، ويطلبون أن يفعلوا لهم كذا وكذا... ويا سيدي فلان... افعل لي كذا، ولا تفعل لي كذا...!

إذا سألت المعتدل - في زعمه - مِن هؤلاء: لماذا تقول هذا، لماذا تفعل هذا، لماذا تلجأ إلى هذا الذي لا يملك لك ضرًّا ولا نفعًا؟

قال: أنا لا أعبده، أنا أتخذه واسطة بيني وبين الله، وهذا توسل إلى الله.

وهو لم يدعُ الله تعالى إنما دعا هذا الولي وهذا المقبور الذي جعله صالحًا وسمّى دعاءه لهذا الصالح توسلاً، وهذا ليس توسلاً، بل هذا هو عين ما كان يفعله المشركون الذين بعث فيهم النبي ﷺ.

ذكر الله تعالى هذا فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس].

فكانوا يلجأون إلى آلهتهم ويلجأون إلى أوثانهم وأصنامهم، يطلبون منهم

ويسألونهم، فإذا سُئلوا: لماذا تفعلون هذا؟ قالوا: لسنا نعتقد فيهم ضرًّا ولا نفعاً، ولا نعتقد أنهم يخلقون ويرزقون، إنما نحن نطلب منهم لأن لهم مكانة عظيمة عند الله، وبهذه المكانة وبهذه المنزلة التي لهم عند الله نرجوا من الله تعالى أن يجيب دعاءنا، فندعوهم ونسألهم كي يكونوا وسطاء بيننا وبين الله.

الله تعالى نفى هذه الوسائط وهذه الشفاعة، وأثبت الشفاعة المثبتة التي أعطاها النبي ﷺ ويُعطاها غيره أيضاً، وهذه تكون بإذن الله تعالى ورضاه عن الشافع ورضاه عن المشفوع له.

أما هذه الشفاعة التي يطلبها الناس في الدنيا من أصحاب القبور والأولياء بزعمهم فهذه شفاعة قد نفاها الله تعالى وبيّن أن طلب الشفاعة من غيره شرك والعياذ بالله.

فلكي تتقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تحتاج إلى واسطة وزلفى ومقرب لك إلى الله، ولا تحتاج إلى شفيع بينك وبين الله، إنما تتوب إلى الله وتطلب منه وتسأله وتستغفره وتتوب إليه بلا واسطة من حي أو ميت، قال الله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾ [الزمر: ٤٣]، كل هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

فهؤلاء الذين يدعونهم لا يملكون شيئاً لهم، حتى خير البشر محمد ﷺ أمره الله تعالى أن يخبر الناس أنه لا يملك لهم ضرًّا ولا رشداً، وأن يخبرهم أنه لا يملك لنفسه - فضلاً عن غيره - نفعاً ولا ضرًّا: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف].

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر].

كثير من هؤلاء إذا ذكر الكلام في التوحيد فإذا بهم يسأمون ويتضايقون ويملّون، لأنّك تذكر توحيد ربّ العالمين الذي فيه إسقاط الشرك بغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا ذكر الله وحده تشمئز قلوبهم، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر]، إذا ذكرت لهم الترهات والخرافات، وذكرت ما يزعمونه كرامات، وكرامات الأولياء ثابتة بالكتاب والسنة لكنهم يتجاوزون هذا، فيزعمون كرامات ما كانت وما كانت لتكون، ويجعلون هذه الكرامات سببًا للشرك بأصحاب هذه الكرامات المدَّعاة ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ

يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر]، قال الله تعالى بعد هذا: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الزمر].

إذاً... من سأل غير الله أو دعا غير الله أو استغاث بغير الله حتى لو ادّعى أنّه ما سأل غير الله ولا استعان ولا استغاث به إلا على سبيل أنه واسطة بينه وبين الله، فهذا شرك أكبر والعياذ بالله، وصاحبه إذا تبين له الحق ثم عاند وأصرّ عليه فإنه لا يكون مع المسلمين الموحدين الذين شهدوا بألسنتهم وقلوبهم وجوارحهم أن «لا إله إلا الله» لأنّ «لا إله إلا الله» تعني ألا نعبد ولا ندعو إلا الله.

أما هذا فقد صرف أنواعاً من العبادة، صرف الدعاء لغير الله؛ فدعا غير الله واستغاث واستعان بغير الله، وجعل الحق الخالص الذي لا يكون إلا لله لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما كان ليكون مسلماً أبداً، وهذا شيء يسميه هؤلاء توسلاً، وهو في الحقيقة ليس توسلاً إنما هو استغاثة شركية ودعاء شركي وتعبد شركي، يُتعبد ويُتقرب ويدعا به غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم أقول: هذا عند المقتصدين - زعماً -!! من القبوريين وإلا فالكثيرون يدعون غير الله ويسألون غير الله ويعتمدون على غير الله؛ لأنهم يعتقدون أن لغير الله تصرفاً وملكاً وتدخلاً في تصريف هذا الكون وتدبير شئونه، فهو يطلب منه مباشرة لأنه يملك التصرف مباشرة، ففاق هؤلاء شرك المشركين الأولين.

تجده قد تعلق قلبه بذاك الصالح والولي، قد تعلق قلبه به، وهذا ليس في القرويين الأميين فقط؛ بل في أصحاب الشهادات العليا وفي أصحاب المراكز الدنيوية المرموقة، تجد الواحد منهم يقف أمام قبر الصالح الفلاني يخاطبه مخاطبةً ويناجيه مناجاةً ويطلب منه ويعتب عليه.

هذا هو القسم الأول، وهو الشركي، وقد غلا فيه بعضهم فوق هذا فجعل الولي هو الأصل، وصار يتوسل إلى الولي بالله والنبي، فيقول: سائقٌ عليك الله والنبي لتسمعني يا سيدنا فلان، سائق عليك ربنا والنبي لتستجب لي!!! فجعل الولي هو الأصل.

إذا كنا نقول: لا يجوز لك أن توسّط بينك وبين الله واسطة، فما بالك بجعل الله نفسه واسطة! وإنا لله وإنا إليه راجعون! وهذا كلام معروف مشهود، بل كُتب في كتب مطبوعة، تذكر فيها هذه الاستغاثات وهذه التوسلات الشركية، لا أقول بغير الله على الله، بل بالله على غير الله، فجعلوا الله واسطة بينهم وبين المخلوق، وإنا لله وإنا إليه راجعون!!.

القسم الثاني: وهو التوسل البدعي: وهو أن يتوسل إنسان إلى الله بحرمة أو بجاه أو بشخص أو بذات أحد الصالحين وأحد الأنبياء كأن يقول: يا رب بحق جاه فلان أو بحرمة فلان أعطني كذا واصرف عني كذا... هذا ليس شركاً لكنّه بدعة محرّمة. فما الفرق بينه وبين القسم الأول؟

الأول دعا غير الله، يقول: يا ولي الله، يا سيدنا الحسين، يا كذا... دعا غير الله، لكن الثاني في الأساس يدعو الله لكنه أدخل واسطة وتوسلاً محرماً في دعائه بقوله: بجاه فلان أو بحرمة فلان... **وهذا فيه محظوران:**

الأول: أنه بدعة فلم يرد عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين أنهم توسلوا بذات أو بحرمة أو بجاه أحد من الأنبياء والصالحين، إنما كان توسلهم بدعاء النبي ﷺ وشفاعته حال حياته، كما ورد عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»[1]. فلما مات النبي ﷺ لم يمكنهم أن يطلبوا من النبي ﷺ هذا الدعاء وهذا الاستسقاء. والنبي ﷺ حي في قبره حياة برزخية، لكنها ليست من جنس حياتنا الدنيوية، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر]، ولذلك طلب عمر من العباس لمكانته وقرابته من رسول الله ﷺ.

ولو كان التوسل بذات النبي ﷺ سائغاً لتوسل به عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد مماته، فإن النبي ﷺ نبي ورسول وخير خلق الله في حياته وبعد مماته، وإنما كان التوسل بعد وفاته ﷺ بدعاء الصالح الحي وفي حياته كان بدعائه لا بذاته الشريفة، وكذلك جاءت وقائع متعددة كطلب الرجل الأعمى من النبي ﷺ أن يدعو له

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٠)، (٣٧١٠) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بالشفاء من العمى[١]، وكذلك الرجل الذي جاء والنبي ﷺ يخطب فطلب الاستسقاء من النبي ﷺ[٢]، وكذلك لما طلب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من يزيد بن الأسود الجُرَشي[٣] أن يدعو لهم، كل هذه وقائع فيها أن الصحابة طلبوا من النبي ﷺ ومن غيره وهم أحياء الدعاء، وهذا لا إشكال فيه.

أما أن يتوسلوا إلى الله تعالى بحرمة أو بجاه أحد من المخلوقين، فهذا لم يقع، ولا دليل يدل عليه في الكتاب ولا في السنة، ولا يستطيع أحد أن يأتي بدليل صحيح في هذا الباب.

المحظور الثاني: أنه ليس شركاً لكنّه ذريعة ووسيلة إلى الشرك، لأنه يؤدي بالداعي أن يدعو هو أو أولاده من بعده هذا الذي توسل به، فيبدأ الأمر بأن

---

(١) رواه أحمد (١٧٢٤٠)، (١٧٢٤١)، والترمذي (٣٥٧٨)، وابن ماجة (١٣٨٥)، جميعهم من طريق شعبة، عن أبي جعفر المدني، عن عمارة بن خزيمة، عن عثمان بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧)، كلاهما من طريق الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، حدثني إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٥١) وغيره من طريق الحكم بن نافع عن صفوان بن عمرو عن سُليم بن عامر، قال الألباني في «إرواء الغليل» (٣/ ١٤٠): «وهذا سند صحيح كما قال الحافظ في التلخيص (١٥١)».

يقول: يا رب، بجاه فلان أعطني كذا! ولسان حاله كأنه يقول: يا رب، إن لم تعطني فلأجل فلان أعطني. فإذا حصل بعد هذا أن الدعاء الذي يقول فيه: بجاه فلان استجيب، والدعاء الذي يدعو الله فيه بدون واسطة لم يستجب -وقد يحدث هذا -، فيقول: السبب هو ذكر تلك الواسطة في الدعاء، ثم يؤدي به الأمر إلى أن ينتقل من دعاء الله تعالى نفسه إلى دعاء الصالح أو النبي أو الولي نفسه، والشيطان يأتي الموحد يتدرج معه شيئاً فشيئاً ليأخذه إلى الشرك، وهذا في البخاري من حديث ابن عباس أن قوم نوح لما مثلوا وصنعوا صوراً للصالحين، في أول الأمر لم تُعبَد هذه التماثيل، «**حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عبدت**»[1].

لذلك جاء الشرع بسدّ الذرائع ومن أعظم الذرائع التي ينبغي أن تُسدّ الذرائع والوسائل التي تفضي إلى الشرك.

إذاً... هذا القسم (التوسل بالحرمة والجاه) فيه محظوران:

١-أنّه بدعة لم تكن في عهد النبي ﷺ ولا دلّ عليها دليل.

٢- وأنه ذريعة إلى الشرك.

إنما التوسل الحق فيما يتعلق بالنبي ﷺ التوسل بدعائه وهذا حال حياته، ومن بعد مماته التوسل بالإيمان به وطاعته وبحبّه (بالعمل الصالح)، أما التوسل بجاهه

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أو حرمته أو ذاته لم ينقل فيه دليل صحيح، وهو أمر يؤدي بعد هذا إلى الوقوع في محاذير، عافانا الله تعالى منها.

نسأل الله تعالى أن يفقهنا في دينه وأن يثبتنا على الحق والهدى.

❁ الخطبة الثانية:

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آل بيته الطيبين، وعلى أصحابه الميامين.

أما بعد، بيّنا القسمين الأولين المحظورين من أقسام التوسل:

القسم الأول: التوسل الشركي: والذي هو ليس توسلاً في الحقيقة، إنما هو استغاثة شركية ودعاء شركي وهو أن يدعو الإنسان غير الله أو يستغيث به أو يطلب منه ما لا يطلب إلا من الله.

والشرك أمره عظيم، ذكر الله تعالى قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، لذلك وجب علينا العناية بالتحذير من الشرك، لماذا؟ لأن أي مسلم مهما كان ظالماً سارقاً غاشًّا؛ إذا مات على شيء من هذه الذنوب ولم يتب منها وعنده عقيدة التوحيد سليمة وشهادة أن لا إله إلا الله صحيحة، فإنه مهما عُذب في النار فإنه لا يخلد في النار، ولا بد أن يدخل الجنة، لأنه موحد.

أما إذا وقع الخلل في التوحيد، إذا وقع في الشرك، فهمام كان الإنسان مصلياً وصائماً وقائماً إذا مات على هذا الشرك لا يمكن أن يغفر له الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أبداً كما قال عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذكر الله تعالى هذا في سورة المائدة: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة]، فالشرك لا يغفره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويخلّد صاحبه في النار أما السارق والزاني وشارب الخمر فمع عِظم ذنبه وجرمه وقبيح فعله فإنه لا يخلد في النار أبداً، إنما هو تحت مشيئة الله؛ إن شاء عفا عنه وإن شاء عذّبه بذنوبه، ثم يُخرجه من النار ولا يخلد أحد من أهل التوحيد في النار، لذلك حرصنا على بيان التوحيد والتحذير من الشرك والتنفير عنه لأجل هذه القضية المهمة.

القسم الثاني: التوسل البدعي وفيه محظوران:

الأول: أنه بدعة لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه.

والثاني: أنه ذريعة ووسيلة إلى الشرك ويؤدي إلى محاذير مخلّة بالمعتقد.

ثم القسم الثالث وهو التوسل الشرعي: وذكر العلماء تحته أنواعاً متعددة، نذكر منها **ثلاثة أنواع:**

الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته: كما جاء في دعاء الاستخارة كما في

الصحيحين من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب**»(١).

فهذا الداعي دعا الله سبحانه وقدّم بين يدي دعائه توسلاً بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

وهناك أحاديث كثيرة جاء فيها التوسل بأسماء الله تعالى وصفاتهن منها: «**أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»(٢).

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح: كما جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار فتدحرجت صخرة من الغار فسدت عليهم الغار، فقالوا: ليتوسل كل واحد منكم إلى الله تعالى بصالح عمله. فأما الأول فقد توسل ببره لوالديه، والثاني توسل بعفافه عن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٢)، (٧٣٩٠) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٢) من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الزنا، والثالث توسل بحفظ المال لأصحابه وردّه إليهم...[١] كما جاء في الحديث.

فهذا هو القسم الثاني وهو التوسل بالعمل الصالح، والعمل الصالح الذي يُعبد به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي يكون جامعاً لشرطي قبول العمل، فإن العمل الصالح حتى يقبل عند الله تعالى لابد له من **شرطين**:

الشرط الأول: أن يكون خالصاً لوجه الله.

الشرط الثاني: أن يكون على سنة رسول الله ﷺ.

القسم الثالث: **التوسل بدعاء الصالح الحي**: كما ذكرتُ من توسل الصحابة بدعاء النبي ﷺ حال حياته كما بينت من قبل من فعل الرجل الذي طلب السقيا يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب فدعا النبي ﷺ[٢]. فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ، ويشرع بعد ذلك بكل صالح، لكن وهذا الصالح حي، كما توسل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أي بدعائه -[٣]، وكما توسل معاوية بدعاء يزيد بن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٥)، (٢٣٣٣)، ومسلم (٢٧٤٣) كلاهما من طريق موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧)، كلاهما من طريق الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، حدثني إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (١٠١٠)، (٣٧١٠) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأسود[١]، وكما حصل في غير ما حادثة.

لكن لابد أن يكون صالحاً حيًّا. أما أن تذهب إلى ميت وتطلب منه وتسأله؛ فإن سؤال الميت والطلب منه بـ«يا» - ونحوها- التي تكون للنداء والدعاء شرك بالله.

وكذلك لما تسأل الله تعالى بذات أحد من المخلوقين أو جاهه أو سلطانه، فهذا أيضاً لا ينبغي، وقد نص غير واحد من أهل العلم من المتقدمين على عدم جواز ذلك والبعد عنه كما قال أبو حنيفة: أكره أن يُسأل الله بأحد من خلقه[٢]. فالله تعالى لا يُسأل بأحد من خلقه، أما أن تدعو الله وتتوسل إليه بأسمائه وصفاته أو تتوسل بدعاء الرجل الصالح أو تتوسل بعملك الصالح الذي قصدت به وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا جائز، وحتى التوسل بدعاء الصالح الحي فيه كلام طويل وكثير لا يتسع المقام لذكره، وقال بعض أهل العلم: الذي ينبغي طلب الدعاء من الغير بنية نفع الداعي...

---

(١) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٥١) وغيره من طريق الحكم بن نافع عن صفوان بن عمرو عن سُليم بن عامر، قال الألباني في «إرواء الغليل» (٣/ ١٤٠): «وهذا سند صحيح كما قال الحافظ في التلخيص (١٥١)».

(٢) والمنبغي أن تحمل هذه الكراهة على التحريم؛ قال الحافظ ابن كثير: «وغالب مراد السلف بالكراهة التحريم»، انظر: «كتاب الأحكام الكبير» (١/ ٢٩٣).

لكن هذه الأقسام من أين جاءت؟ المرد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، هما اللذان يبينان هذا كما قلت الآن، التوسل بأسماء الله وصفاته أخذناه من الكتاب والسنة، والتوسل كذلك بالعمل الصالح وبدعاء الصالح الحي أخذناه من السنة، ومنع التوسل الشركي أخذناه من صريح كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة يونس وغيرها وكذلك منع التوسل البدعي أخذناه من الكتاب والسنة.

لكن الأمر يحتاج منا تفقهاً لا أن نكون دارجين على ما كان عليه الآباء والأجداد بدون نظر إلى ما جاء في الكتاب الكريم وفي السنة المطهرة.

اعلموا عباد الله أننا إذا لم نحرص على الفقه في دين الله، وإذا لم نحرص على فهم ديننا كما نزل على رسول الله ﷺ، فاعلموا أننا أول من يصدّ عن الإسلام، فنحن نصد الناس عن الإسلام؛ لأننا لا نستقيم على الإسلام الحق، وإنما نغير ونبدل كلما طال الزمان، كما جاء في صحيح البخاري «**لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه**»[1]. فالأمر يحتاج منا إلى ردّ إلى الكتاب والسنة، نأخذ منهما ونستقي من معينهما، ونفهم الكتاب والسنة لا بفهمي وفهمك، لا بفهم فلان ولا علان من عموم الناس وجهلتهم، إنما بفهم خير الناس الذين تلقوا الفهم الصحيح من النبي ﷺ، وهم صحابة رسول الله ﷺ؛ لأنهم هم الذين تربّوا على يد رسول الله ﷺ وأخذوا عنه، فالخير كل الخير في اتباعهم، والشرّ كل الشرّ في تنكب سبيلهم

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٨) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ الآية في سورة النساء.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يعيذنا من عذاب جهنم وأن يجعلنا من أهل الجنة، وأن يمسّكنا بالكتاب والسنة حتى الممات.

وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ

(٥) بيان معنى «لا إله إلا الله»

❁ الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

أخرج الشيخان في صحيحهما من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام**

الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»[1].

وفي الصحيحين أيضاً من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**»[2].

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أول أركان هذا الدين، لا يقبل إسلام بدون هذا الركن بإجماع المسلمين. فإن تارك الحج لا يكفر في قول عامة أهل العلم، وكذا تارك الصيام، وفي كفر تارك الصلاة قولان لأهل العلم، لكن كل هذه الأركان جماهير أهل العلم على أن تاركها لا يكفر، أما تارك الشهادتين فإنه كافر بإجماع المسلمين.

وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله بها يصير الشخص مسلماً موحداً يعصم في الدنيا دمه وماله ونفسه، وفي الآخرة إذا ما واطأ اللسان ما في القلب واستقامت على هذا الجوارح فإن الإنسان يكون من الناجين عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة.

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) كلاهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) كلاهما من طريق شعبة، عن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لذا كانت الشهادتين أعظم أركان الدين على الإطلاق، وأهم ما في الدين على الإطلاق، لذا وجب على جميع من ينطق بلسانه بهاتين الشهادتين أن يفهم معاني هاتين الشهادتين وأن يحقق هذه المعاني في نفسه، كذلك لابد أن يعرف النواقض التي تناقض هاتين الشهادتين حتى يجتنبها، لأنه لا ينتفع الناطق بهاتين الشهادتين إلا إذا حقق شروطهما، وإذا نطق بلسانه الشهادتين ثم نقض هاتين الشهادتين أو نقض إحداهما بناقض من نواقض الإسلام، فإن نطقه بهاتين الشهادتين لا يكون نافعاً له عند الله تعالى، لذا وجب علينا أن نعتني بتحقيق هاتين الشهادتين نطقاً باللسان، ويقيناً وإقراراً بالقلب، وعملاً بالجوارح.

وأول هاتين الشهادتين -وسبق كلام في شيء من معناها -شهادة أن لا إله إلا الله، أن تشهد أن لا إله إلا الله.

وما هو معنى «لا إله إلا الله»؟

لا إله إلا الله تنفي كل إله يُعبَدُ دون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتقرّ وتؤمن أن عبادة غير الله إنما هي بالباطل، أما العبادة الحقّة والمعبود الحق فهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا إله غيره كما أنه لا ربّ سواه، فوَجَبَ على جميع الناس خاصة من يعتقد وجود الله وهم السواد الأعظم من الناس، ومن يعتقد ربوبيته وأنه خالق ورازق وملك ومدبر؛ وجب عليه أن يعتقد أنه لا إله إلا هو بمعنى أن لا يصرف العبادة إلا له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فليس معنى لا إله إلا الله لا خالق لا رازق ولا مدبر إلا الله، كل

هذه معانٍ صحيحة وتتضمنها لا إله إلا الله، لكنها ليست هي معنى لا إله إلا الله مطابقةً؛ لأن هذه المعاني كان المشركون يقرون بها ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[لقمان: ٢٥]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنبكوت: ٦١].

وآيات كثيرة تدل على أنهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق المالك المدبر، فلو أتى إنسان الآن من المسلمين يريد أن يشرح الشهادتين للناس ويقول: إن معنى «لا إله إلا الله»: لا خالق إلا الله، أو لا قادر على الاختراع إلا الله، أو لا يدبر الأمر إلا الله، أو لا يستغني عما سواه ولا يفتقر إليه كل ما عداه إلا الله؛ هذه كلها تفسيرات باطلة يفسر بها كثير من الناس معنى لا إله إلا الله.

أما المعنى الحق لـ«لا إله إلا الله» فهو الذي دل عليه كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ كما قال تعالى في الزخرف: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾: تفيد أنه لا إله، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، إلا الله، فلا إله إلا الله معناها الحق الذي دلّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والذي هو مقتضى فهم اللغة العربية -أي من عنده فهم للغة العربية - فلا يفهم سواه، أن معناها لا

معبود حق ولا يعبد بحق إلا الله.

والمشركون كانوا يعتقدون أن الله ربهم، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خالقهم ومالكهم، وكانوا يطوفون حول الكعبة ويقولون: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»، فكانوا يعتقدون أنه الإله الأعظم وأن أصل العبادة وأساسها يصرف له، لكنهم كانوا يعبدون مع الله غيره، وكانوا يتخذون من دونه أنداداً، وكانوا يتخذون معه شركاء يزعمونهم شفعاء ووسطاء بينهم وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب من أجل أن يدعوا الناس جميعاً إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، ولأجل أن ينبّهوا الناس إلى أنه لا يجوز دعاء غير الله، وأنه لا يجوز صرف شيء من العبادة لغير الله ولو على سبيل التشفيع والتوسيط بينك وبين الله؛ ولو كان هذا الوسيط والمزلف والشفيع المزعوم ملكاً مقرباً أو نبيًّا مرسلاً.

قال الله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر]

أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أنه لا معبود بحق إلا الله، المعبودات كثيرة

والمعبودات التي يجعلها كثير من الناس آلهة كثيرة، لكنها تعبد بالباطل، أما الإله الحق فهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ويقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر].

ينبغي أن نحرص غاية الحرص على تحقيق هذا التوحيد، وعلى صيانته، وعلى حماية جنابه؛ كما كان النبي ﷺ أحمى الناس لجناب التوحيد، وينبغي أن يكون أساس تفقهنا في الدين مبنيًّا على تحقيق توحيد رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلى الفهم الصحيح المستقى من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ لمعاني هاتين الشهادتين العظيمتين؛ اللتين ينطق بهما كثير من المسلمين ولكن قلَّ الفاهم لمعناهما، وكَثُر في كثير من الناس الإتيان بأنواع من المخالفات؛ بل بأنواع من النواقض لهاتين الشهادتين من دعاء غير الله والتعلق بغير الله والاستغاثة بغير الله والذبح لغير الله والنذر لغير لله، وهذا غير جائز في شريعة الإسلام، وهذا غير جائز في دين الله، وهذا يوجب لصاحبه البوار ويوجب له في الآخرة الخلود في النار، وإنا لله وإنا

إليه راجعون.

وهذا مما يوجب تشويه صورة هذا الدين، ويصور هذا دين وكأنه خرافة وتخلف وتأخر، وفي بعض البلدان الأوروبية وفي بعض بلدان إفريقيا الشمالية – وكذا هنا –قنوات توظف لهؤلاء، لخدمة بعض الطرق الصوفية، لبث هذه الضلالات، ويأتون فيها بحِلق الذكر البدعي وأناس يرقصون وأناس يشربون الخمر والمخدرات والحشيش، وفيها اختلاط الرجال بالنساء وفيها الرقص، ثم يدّعى أنها مجالس ذكر، ويعرضوا هذا للكفار – الذين لم يعاينوا ولم يروا كثيراً من المسلمين – على أنّ هذا هو الإسلام، ثم يأتون بصور من عند القبور والأضرحة، وفيها تعلّق الناس وتقبيلهم وتمسحهم وسجودهم وذلهم وخضوعهم لهذه القبور وهذه المشاهد ويقولون للكفار: هذا هو الإسلام.

حتى صار بعض المستشرقين يكتب هذا، ويجعله حقيقة راسخة: أن أكثر المسلمين يعتقدون بتقديس الأولياء وكذا.

ثم يقول هذا المستشرق مثلاً: «وهؤلاء المسلمون يدّعون أن هذا الإسلام أتى لهدم الوثنية، ونحن في بلاد الإسلام رأينا الوثنية على أجلى صورها».

هذا معنى كلامهم، يقولون: نحن رأينا في بلادهم الوثنية على طبيعتها، وما الفرق بين أن تصنع هذا بصنم أو تصنعه بقبر؟! بل بعض مشايخ السنة – وهو

الشيخ ربيع حفظه الله تعالى – لما ذهب إلى الهند قال: رأيت معبداً للهنادك (الهندوس) وأمامهم مسجد مبني على قبر للمسلمين، قال – حفظه الله –: «والله ما يصنع هنا هو ما يصنع هنا، لكنّ الفرق أن هؤلاء يصفون هذا بصنم كرشناوراما وغير ذلك من آلهتهم، وهؤلاء يصفون هذا بالضريح». وكل هذا الإسلام بريء منه، وكل هذا دين الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ براء منه، براء من الشرك بجميع أنواعه سواء نسب هذا للإسلام أو لغير ملة الإسلام، والمسلمون أول كلمة ينطقون بها: «أشهد أن لا إله إلا الله»، وإذا ما حققوها فهذا يقتضي أنهم لا يصرفون شيئاً من العبادة –لا في قليل ولا في كثير – لأحد غير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ولما كان المشركون يفهمون معنى هذه الكلمة، ويفهمون معنى هذه الشهادة أبوا أن يقولوها بألسنتهم، لأنهم كانوا يعلمون أنهم لو قالوا: لا إله إلا الله فإنهم لا يجوز لهم أن يصرفوا شيئاً من العبادة لغير الله، لأنهم كانوا عرباً ويفهمون معنى الإله في اللغة العربية، ويفهمون أنها تعني المعبود، فلا إله: أي لا معبود، ولا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، فهم كانوا يفهمون هذا المعنى، ولذا أَبَوْا أن يقولوا هذه الكلمة.

أما في القرون المتأخرة فكثير من الناس يقولون هذه الكلمة ولا يجدونها مصادمة لأقوالهم وأفعالهم ولا لمعتقداتهم، حتى لو أتوا بالكفر البواح والشرك الصراح، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نسأل الله تعالى أن يثبتنا على التوحيد والسنة حتى الممات.

۞ الخطبة الثانية:

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين نبينا محمد وعلى آل بيته الأطهار، وعلى أصحابه الأكرمين. **أما بعد،**

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]

الشهادة الثانية التي لا يصح إسلام العبد إلا بها: «شهادة أن محمداً رسول الله» صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، هذه الشهادة تعني (تقتضي) أموراً، وهي كذلك مثل كلمة «لا إله إلا الله» ليست مجرد كلمة تقال باللسان، إنما هي كلمة لابد أن ينطقها اللسان وأن يصدق معناها القلب، ولابد أن تظهر آثار هذا التصديق على الجوارح، وأن لا يأتي الإنسان بما يضاد هذه الشهادة ولا الشهادة التي قبلها، ولا يظهر شيء من النواقض على جوارحه ولا على لسانه ولا يكون في قلبه قبل هذا.

«شهادة أن محمداً رسول الله» تعني: أن تصدق النبي ﷺ فيما أخبر، وأن تطيعه فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع.

تقتضي أن تصدقه ﷺ فيما أخبر، فإذا صحّ الحديث عنه ﷺ فلا ينبغي أن يكون

لك توقف في تصديقه ﷺ، ينبغي أن تقبل كلام النبي ﷺ وأن تقول: صدق رسول الله ﷺ، ولا تدخل في ذلك متوهماً بأوهامك ولا متأولاً بآرائك، ولا رادًّا لكلام النبي ﷺ متأولاً بأن هذا الكلام لا يقبله العقل، وأنه لا يقبله تفكيري أو أن هذا الكلام لا يناسب هذا العصر... هذا كله نقض لشهادة أن محمداً رسول الله، وكم من إنسان لم يقتنع بحديث الذبابة[1] أو حديث غسل الإناء من ولوغ الكلب سبع مرات أولاهن (إحداهن) بالتراب[2]، وحديث كذا وكذا... حتى أثبتت لهم نظريات طبية وتجارب طبية حديثة أن هذا الكلام له فوائد كذا وكذا، وأن ما جاء به النبي ﷺ حق، وأنه وافق التجارب العملية التي اكتُشِفَت في هذا القرن، هذا جعله يقتنع ويصدق! طيب وما لم يقتنع به وما لم يفهمه ينتظر حتى يفهم أن يكتشف ما يكتشف؟!

أما المسلمون إذا صحّ عندهم الخبر عن رسول الله ﷺ سواء وَعَتْهُ عقولهم أم لم تَعِه، فإنهم يصدقون كلام النبي ﷺ ويؤمنون به ويقرونه ويحكونه، وإذا فهموه تكلموا بما يليق، وإذا لم يفهموه سكتوا وقالوا: صدق رسول الله ﷺ. ورسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، ولا ينطق من عند نفسه، بل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يوحي إليه ويعلمه ﷺ، ولا يمكن أن يقول باطلاً ولا أن ينطق بباطل.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٠)، (٥٧٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والله وصلت الجرأة ببعض هؤلاء حتى من يسمي نفسه مفكراً إسلاميًّا أن يقول: «أنا في المجال الطبي لست ملزماً بقبول كلام النبي ﷺ يمكنني أن آخذ بكلام طبيب نصراني ولا أقبل كلام النبي ﷺ!»، وهذا كلام موجود بلسانه يقول «ما للنبي ﷺ وما للطب!!» يا غبي هذا رسول الله ﷺ، ولما يتكلم؛ يتكلم بوحي من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من هو؟ أليس هو الذي خلق السماوات والأرض، والذي هو مالكٌ لك ولإحيائك وإماتتك، ويملك كل ذرة فيك، ويملك لك الضر والنفع، ويملك لك الحياة والموت والنشور، وهو الذي يملك كل شيء دقه وجله، صغيره وكبيره، ثم بعد ذلك تقول: أقبل كلام النبي ﷺ في كذا ولا أقبله في كذا!! هل ما يكون من أمور الدنيا فإن الله تعالى لا يحاسب الناس عليه؟!! والله تعالى لا اطلاع له عليه!! كيف تقال مثل هذه الكلمات؟!! إلا لأن الذي قالها لم يقم في قلبه المعنى الحقيقي لشهادة أن محمداً رسول الله، ولم يفهم ما معنى «أشهد أن محمداً ﷺ رسول الله».

(**أن أصدقه فيما أخبر وأن أطيعه فيما أمر**): فما أمر به رسول الله هو مما أمر الله تعالى به، قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء].

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، **قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله**»(٢).

وكذلك في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»(٣).

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ليس بعد أمر الله وأمر رسول الله ﷺ أن يكون تخيُّر للمؤمنين، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥) كلاهما من طريق يونس بن يزيد الأيلي، عن ابن شهاب، أخبره، قال: حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) واللفظ له، ومسلم (١٣٣٧) كلاهما من طريق أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

(وأن نجتنب ما عنه نهى وزجر)، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، فما أمر رسول الله به فهو مما أمر الله به، وما نهى عنه رسول الله فهو مما نهى الله تعالى عنه. واتباع سنة رسول الله ﷺ يكون بالعمل بها والائتمار بأوامرها والانتهاء عن نواهيها كما هو الحال في القرآن، يجب أن تأتمر بالأوامر التي في القرآن وأن تنتهي عن النواهي التي في القرآن، كذلك الأمر في سنة رسول الله ﷺ، إذا أمر بأمر فإنك ينبغي أن تحرص على فهمه وتطبيقه، وإذا نهاك عن شيء فإنك يجب أن تنتهي عنه وأن تكون مؤتمراً بما أمرك به منتهياً عما نهاك عنه ﷺ.

(الأمر الثالث: ألا يعبد إلا بما شرع)، ألا يعبد الله إلا بما شرع رسول الله ﷺ فكل الطرق إلى الله مسدودة إلا طريق رسول الله ﷺ، الله تعالى لما أمرنا بعبادته وأمرنا أن نؤمن به بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأمرنا أن نفرده بالعبادة لم يكل الأمر إلينا في كيفية عبادته، إنما أراد منا أن نعبده وحده بطريقة أو

بكيفية أو بهيئة أو بأحوال معينة لا تتأتى إلا إذا فهمنا شهادة أن محمداً رسول الله، وأنه لا يمكن أن نعبد الله إلا بما شرعه في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ.

أنزل الله تعالى الكتاب وجعل النبي ﷺ مبيناً لكتاب رب العالمين، موضحاً لما أشكل مبيناً لما أجمل ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل: ٤٤].

فالله تعالى أنزل على نبيه الكتاب ليبين للناس هذا الذي أنزله الله تعالى إليهم. وفي الباب كلام كثير يتعلق بالخروج عن هديه ﷺ بالابتداع في دين الله ومخالفة أمر النبي ﷺ، وهذا يكون له تكملة إن شاء الله تعالى فيما يأتي، لأن هذا أمر مهم؛ أن نحرص على تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله، وأن نجرِّد الاتباع للنبي ﷺ. ومن ضمن هذ التجريد كذلك ألا يكون لنا إمام معظم ولا شيخ طريقة ولا إمام جماعة ولا رئيس حزب غير رسول الله ﷺ، فإننا مسلمون متحزبون في حزب الله عَزَّوَجَلَّ، وعلى حزب واحد وطريق واحد ومنهج واحد، كما بين الله تعالى في الكتاب والسنة، أما أن يتفرق المسلمون إلى طرق وجماعات وشيع وأحزاب وطرق وفرق، فإن هذا ما أنزل الله به من سلطان، ولا يجوز في دين الإسلام أن يتكتل مجموعة من المسلمين تكتلاً مختصًّا بهم، أو يتحزبوا تحزباً مختصًّا بهم سواء كان هذا التحزب والتكتل سريًّا أو علنيًّا، هذا لا يجوز في دين الله. والأمر قائم على الدعوة إلى دين الله تعالى بلا حزبية ولا عصبية حزبية، بل العصبية والاتباع والتمسك والتحزب إنما هو للإسلام ولسنة النبي ﷺ، نكون مجتمعين مُتَألفين

متحدين على كلمة التوحيد وعلى سنة النبي ﷺ، على المعاني الصحيحة لهاتين الشهادتين، والإخلال بهذا هو الذي يؤدي إلى التفرق والتشرذم، ويؤدي إلى ظهور فرق وأحزاب وجماعات، كل فريق يدعوا إلى إمامه ويدعوا إلى مبايعة أميره وإلى التسجيل في سجله وحزبه، والله تعالى يقول في كتابه مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام].

ويقول سبحانه: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [النحل].

ويقول سبحانه: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام].

وأختم بما أخرجه الإمام أبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ **وعظهم موعظة بليغة، ذرفت لها الأعين، ووجلت منها القلوب، قلنا أو قالوا: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور،**

فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة»[١].

فتقوى الله وصية الله للأولين والآخرين، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٣١].

(**والسمع والطاعة لولاة أمور المسلمين**): وإن كان هذا الأمير عبداً حبشيًّا كما في صحيح البخاري من حديث أنس: «**اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة**»[٢].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول النبي ﷺ: «**من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية**»[٣].

«**فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافاً كثيراً**»: ها قد عشنا أكثر من أربعة

---

(١) رواه أحمد (١٧١٤٤)، (١٧١٤٥)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤) جميعهم من طريق ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عبد الرحمن بن عمرو، عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣)، (٦٩٦)، (٧١٤٢) من طريق شعبة، عن أبي التياح، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩) كلاهما من طريق عبد الوارث، عن الجعد، عن أبي رجاء، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عشر قرناً بعد وفاة النبي ﷺ ورأينا الاختلاف الكثير الكثير في أحوال المسلمين وفي مظاهرهم وفي سلوكهم وأخلاقهم وعباداتهم ومعاملاتهم؛ بل في عقائدهم وعبادتهم قبل هذا اختلاف كثير كثير. النبي ﷺ أخبر بهذا قبل أربعة عشر قرناً من الآن، وهذا من أعلام نبوته ﷺ، لكنه ﷺ ما تركنا؛ بل أرشدنا إلى ركن وثيق، وإلى أصل أصيل نتأصل عليه ونرتكن إليه، فقال ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ**»، نعض على سنته ﷺ وسنة سلفنا الصالح وأساسهم الخلفاء الراشدون المهديون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعن الصحابة أجمعين.

ونعض عليها بالنواجذ وليس بالأضراس المقدَّمة، إنما العض بالنواجذ من شدة التمسك والعض عليها.

«**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة**» أن نعض على سنة النبي ﷺ وأن نجتنب المحدثات والبدع في الدين، فإن الله تعالى لا يقبل العمل إلا إذا كان:

١- خالصاً لوجهه سبحانه.

٢- وإذا كان على سنة نبيه ﷺ.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المخلصين له المتبعين لسنة نبيه ﷺ، ونسأله أن

ينصر الإسلام والمسلمين وأن يذلّ الكفر والكافرين، وأن يدمِّر أعداء الدين، وأن يوفِّق ولاة أمور المسلمين إلى ما يحبّ ويرضى، وأن يأخذ بنواصيهم إلى البرّ والتقوى.

وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(٦) الأمر بالاتباع والتحذير من الابتداع في الدين

«اتبعوا ولا تبتدعوا»

❁ الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

إن العبد كما ذكرنا لا يكون مسلماً إلا إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً

رسول الله، ويخرج ويمرق من الدين إذا أتى بناقض من نواقض هاتين الشهادتين العظيمتين اللتين تمثلان الركن الأول من أركان الإسلام؛ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

(شهادة أن لا إله إلا الله) تحقيق هذه الشهادة يكون بما دلت عليه، فهذه الشهادة دلّت على توحيد الألوهية بالمطابقة فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله؛ تعني إفراد الله تعالى بالعبادة وأنه لا تصرف العبادة إلا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ودلت على توحيد الربوبية بالتضمن، فإن من أقر بتوحيد الإلهية لابد أن يكون مقرًّا بتوحيد الربوبية، الذي أفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة لابد أن يكون قبل هذا قد أفرده بالخلق والملك والتدبير، وكذلك دلت بالالتزام على توحيد الأسماء والصفات، وعلى إثبات ما يليق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من نعوت الجلال وصفات الكمال، وأسمائه الحسنى على الوجه اللائق به، كما جاء في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

(شهادة أن محمداً رسول الله) وتحقيقها يعني أن نصدق النبي في كل ما أخبر، وأن نطيعه فيما أمر وأن نجتنب كل ما نهى عنه وزجر، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع رسول الله ﷺ، وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الأصول الثلاثة» لما قال: «ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع»انتهى.

(أن يُطاع فيما أمر) وما أمر رسول الله ﷺ به فهو مما أمر به الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء].

والنبي ﷺ كما في الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله**»[1].

(وأن يجتنب ما نهى عنه وزجر) وهذا الاجتناب للنهي أوكد من المبادرة إلى تنفيذ ما أُمر به الإنسان لذا جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا**

(١) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥) كلاهما من طريق يونس بن يزيد الأيلي، عن ابن شهاب، أخبره، قال: حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

منه ما استطعتم»[1]، فذروه كما جاء في بعض الروايات.

(وألا يُعبد الله إلا بما شرع) يعني: ألا يُعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلا بما شرع رسول الله ﷺ؛ فكل الأبواب إلى الله، وكل الطرق إلى الله تعالى مسدودة إلا طريق النبي ﷺ، فمن أراد أن يعبد الله، ومن أراد أن يسير في الطريق الذي يوصله إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لابد أن يكون متعبداً على هدي النبي ﷺ متبعاً لسنته ﷺ غير مبتدع ولا متنطع ولا متكلف، إنما يلزم سنة النبي ﷺ، والنبي ﷺ قد نهانا عن البدع في الدين، وأخبر ﷺ أنه من سيعيش من المسلمين فسيرى اختلافاً كثيراً كما في حديث العرباض ابن سارية الذي أخرجه الإمام أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم أن رسول الله ﷺ **وعظهم موعظة بليغة، ذرفت لها الأعين، ووجلت منها القلوب، قلنا أو قالوا: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة،**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) واللفظ له، ومسلم (١٣٣٧) كلاهما من طريق أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإن كل بدعة ضلالة»[١].

والنبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يقول: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد**»[٢].

وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٣].

(**أمرنا**): هو ديننا، من أحدث في أمرنا -في ديننا -هذا (**ما ليس منه**) ما لم يجئ به النبي ﷺ وكان بإمكانه أن يشرعه وأن يبينه، ثم لم يأت به النبي ﷺ، فإننا لا نأتي به، وإذا أتاه آت أو ابتدعه مبتدع؛ فهو (**رد**) أي مردود عليه، يعني أن هذا العمل مردود على صاحبه لا يقبل من صاحبه؛ لأن العمل الصالح حتى يكون مقبولاً عند رب العزة جلّ لابد أن يكون مستجمعاً شرطين:

الشرط الأول: أن يكون خالصاً لله.

---

(١) رواه أحمد (١٧١٤٤)، (١٧١٤٥)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤) جميعهم من طريق ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عبد الرحمن بن عمرو، عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)؛ ومسلم (١٧١٨) كلاهما من طريق إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

والشرط الثاني: أن يكون صواباً على سنة النبي ﷺ، كما بين الله تعالى هذا في قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ على سنة النبي ﷺ ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

وكما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف].

نُقل عن الفضيل بن عياض - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - قوله: أحسن العمل أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وما أصوبه؟ قال: أخلصه أن يكون خالصاً لله، وأصوبه: أن يكون صواباً على سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ما ترك شيئاً من الخير إلا وأرشدنا إليه وبينه لنا، وما ترك شيئاً من الشر إلا وحذرنا منه صلوات ربي وسلامه عليه.

فمن أتى بعد هذا بشيء يزعم أنه من الدين ولم يشرعه النبي ﷺ ولم يبينه مع قيام المقتضي له فقد ابتدع في الدين، وقيام المقتضي يعني أنه أمر كان يسع النبي ﷺ أن يفعله ثم تركه متعمداً ﷺ؛ لأن بعض الناس يقول إذاً لماذا تتكلم في مكبر الصوت وهو لم يكن على عهد النبي ﷺ؟

والجواب: **أولاً**: هذه أمور دنيوية.

ثانياً: هل كانت في زمان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثم تركها، إذا كانت في زمنه ثم تركها فإننا لا نستعملها.

لكن لم تكن في زمنه ﷺ ووجدت الآن، ثم هل وجودها يضر الدين أم يخدم الدين؟! وجودها لا يضر الدين ولا يضاد الدين في شيء، ثم إننا لا نتعبد بمجرد وضع مكبر الصوت أو بغيره من الوسائل الحديثة، إنما تَعَبُّدنا بما جاء النص الشرعي به، لكننا نتكلم عن شيء قام المقتضي في زمان النبي ﷺ لفعله ثم لم يفعله.

يعني كان يمكنه أن يفعله ثم تركه، فالنبي ﷺ لم يقم حلقة ذكر مثلاً ولم يقم حضرة كما يقيمها المقيمون، لم يجعل الناس يخرجون في الدعوة إلى الله لأيام معينة ثلاثة أيام أو أربعين يوماً أو أربعة أشهر، وكان يمكنه أن يفعل هذا، فهناك كثير من الأمور وكثير من التعبدات وكثير من الأذكار والصلوات التي أحدثها الناس لم يفعلها النبي ﷺ وكان يمكنه ﷺ أن يفعلها.

فإذا خالفنا هدي النبي ﷺ وفعلنا هذه المبتدعات وتقربنا إلى الله بها، أو زعمنا التقرب إلى الله تعالى بها؛ فإنها لا تكون مقبولة عند الله؛ لأن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان على صفة هدي النبي، وهذا معنى أن لا يعبد الله إلا بما شرع رسول الله ﷺ، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما أمرنا أن نعبده وحده لا شريك له، أمرنا أن نعبده على وفق ما يحب ويرضى، لا أن يتقرب كل متقرب إليه بما يزعم أنه

يقربه إلى الله عزوجل.

لا، ليس لك الخيار في أن تعبد الله كما تشاء، إنما تعبد الله كما جاء وكما نزل وكما أوحي إلى نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسل وأشرفهم وأفضلهم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، هذا الذي ينبغي أن تعبد الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ به، حتى تكون من السعداء الفائزين، وإلا فإن من ادّعى شيئاً من الدين أو جعله حسنا في الدين ولم يأت به النبي ﷺ، فهذا يدعي بلسان حاله أن النبي ﷺ خان الرسالة أقول: يدعي بلسان حاله؛ لأن الذي يقولها بلسان مقاله يكفر – والعياذ بالله – ومن اعتقدها بقلبه كفر – والعياذ بالله – يعني إذا اعتقد أن النبي ﷺ خان الرسالة.

لكن هذا الذي شرع من الدين ما لم يأذن به الله والذي ابتدع في الإسلام بدعة ما جاء بها رسول الله ﷺ بلسان حاله يقول على ما ابتدع: هذا من الدين، فنقول له هل هذه من السنة؟ فيقول لا هذه ليست من السنة، هذه أنا اخترعتها أو اخترعها شيخ طريقتي التي أنتمي إليها.

طيب...نسأله: هل كان يمكن النبي ﷺ أن يأتي بها أو لا؟ فيقول: نعم كان يمكنه، إذاً إذا لم يأت بها ثم أنت أتيت بها وزعمت أنها من الشرع وزعمت أنها من الدين وزعمت أنها مما يقرب إلى الله، فكأنك تقول إن النبي ﷺ قد ترك شرعاً وقد ترك ديناً لم يبلغنا إياه، كأنه بلغنا بعض الدين وترك البعض الآخر لأهواء الناس يشرعون كما يشاؤون ويبتدعون ما يهوون، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لذا... الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما نقل عنه ابن الماجشون يقول: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة»، يبتدع بدعة في الدين، ثم تقول له هذه بدعة يقول: هذه بدعة حسنة. هذا يزعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة، الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، يقول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً». هذا كلام الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن النبي ﷺ خان الرسالة» ثم يقول: «فما لم يكن يومئذ ديناً»، ما لم يكن ديناً في عهد النبي ﷺ فإنه لا يجوز لنا أن نجعله من الدين الآن، وهذا من الأمور التي يُعَدُّ بها الإسلام دين الله الحق مفترقا عن سائر الأديان الباطلة، فإن الأديان الباطلة - حتى ما كان منها له أصل سماوي كالنصرانية واليهودية - ضلّ أهلها بالابتداع والاختراع وشرع ما لم يأذن به الله. صاروا يبتدعون في الدين وينقصون من الدين، وفي مقابل الزيادة ينقصون أموراً أخرى من الدين فيشرعون الصيام بأهوائهم؛ كان الصيام مشروعاً عليهم ثلاثين يوماً فلم يعجبهم في هذا الوقت فجعلوه في وقت آخر، ثم قالوا نزيد عليه عشرة أيام ثم زادوا سبعة أيام ثم قالوا: الآن بقي ثلاثة حتى نكمل الخمسين فكملوا الخمسين. هكذا في كل باب من أبواب الدين أو باب من أبواب التعبد، يشرعون فيه ما لم يأذن به الله، يحدثون تعبدات ويحدثون كلاماً ويحدثون أموراً كثيرة ما جاء بها عيسى وما جاء بها موسى؛ فكان دينهم من أوله إلى آخره بدعٌ فوق بدع فوق

بدع، لذلك قال الله تعالى ذامًّا وذاكراً هؤلاء وأمثالهم: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]، وذكر اتباعهم لأحبارهم ورهبانهم في تحليل ما حرم الله وفي تحريم ما أحل الله فقال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [التوبة: ٣١]، أُمروا ليعبدوه وأمروا ليتبعوا شريعته، وأن يقتدوا ويتبعوا سنة النبي ﷺ وألا يحيدوا عن ذلك طرفة عين.

نسأل الله تعالى أن يثبتنا على سنة النبي ﷺ حتى الممات وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

۞ الخطبة الثانية:

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين نبينا محمد وعلى آل بيته الأطهرين، وعلى أصحابه الأكرمين، **أما بعد،**

يقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كما أخرج اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، وابن نصر في «السنة»، وغيرهم: «كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس

حسنة»[١]، هذا كلام ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة».

العبرة ليست بنظر الناس، العبرة بما جاء في الشرع؛ كل من يزيد في الدين شيئاً لم يأت به رسول الله ﷺ، مع قيام المقتضي له في زمان النبي ﷺ، ثم يقول: إن هذا من الدين؛ فإن هذا ضلال مبين، بنص كلام النبي ﷺ الذي قال: «**كل بدعة ضلالة**»[٢]، لم يقل: البدعة حسنة وسيئة، بل كل بدعة ضلالة، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما صح عنه يقول: «أصدق القيل قيل الله، وأحسن الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وإن شر الأمور محدثاتها، ألا وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[٣]، هذا كلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس في الدين بدعة

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (٢٠٥)؛ واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٢٦)؛ وابن نصر في «السنة» (٨٢)، وغيرهم من طريق هشام بن الغاز أعن نافع أعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال الألباني بعد ذكر رواية ابن بطة واللالكائي له: «موقوفا بإسناد صحيح، والهروي في (ذم الكلام) (٢/ ٣٦ / ١) مرفوعا، وما أراه إلا وهما. وإنما يصح منه مرفوعا الشطر الأول منه».

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٦) من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه اللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (١٠٠)؛ وابن نصر في «السنة» (٧٥)؛ وابن وضاح في «البدع» (٥٦) واللفظ له؛ وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»

حسنة، بل في الدين سنة حسنة، كما جاء ذلك في الصحيح من حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[1].

فلابد أن نعرف ما هي هذه السنة الحسنة؟ لأن بعض الناس يؤلف كتاباً في الأذكار، يخترع أذكاراً من رأسه، ويؤلف ويخترع أدعية وكيفيات للصلاة على النبي ﷺ ثم يقول لأتباعه: تعبدوا بها أو اقرءوا هذا في الصباح والمساء. فنقول له: يا أخي عندنا أذكار علمنا إياها النبي ﷺ، لماذا تزيد هذا؟ حسبنا ما جاء به رسول الله ﷺ، وحسبنا التعبد بما جاء به المعصوم الذي بعثه الله تعالى إلينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أما أنت وغيرك فلستم معصومين. ونقول له: هذه بدعة! يقول: نعم، هذه بدعة لكنها بدعة حسنة. ويقول لك: قال رسول الله ﷺ: «**من سنّ في الإسلام سنة حسنة**». لو نظرت في سبب ورود هذا الحديث لفهمت معنى السنة الحسنة؛ أصل الحديث أنّ ناساً من مُضَر كانوا مجتابي النمار وشُعث الرءوس قد لبسوا خِرقاً، خرجت منها رؤوسهم، قال جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نسمع دوي صوتهم

(١٠٥٤)، جميعهم من طريق سفيان بن عيينة، عن هلال الوزَّان، قال: نا شيخنا القديم عبد الله بن عكيم، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولا نفهم كلامهم، يعني: ناس كانوا في شدة الفقر والحاجة، والأمور الظاهرة عندهم كانت صعبة جدًّا، كما يشير، لذا لما رآهم النبي ﷺ على هذه الحال حزن، فقام ﷺ وخطب في الناس وحثّهم على الصدقة، أي التصدق على إخوانهم هؤلاء؛ فأول من تصدق رجل من الأنصار جاء بصُرة تعجز كفّه عن حملها بل قد عجزت ثم وضعها فلما رآه الناس فعلوا مثله فتهلل وجه النبي ﷺ كأنه مُذهبة، أي: حتى صار كالذهب، ثم قال ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**».

إذاً... النبي ﷺ قال هذا في الكلام على رجل تصدّق فكان أولَ من تصدَّق، ثم تأسَّى به الناس في التصدق، هذا الرجل صاحب الصرة، فهل اخترع التصدق أم كان مؤتمرًا بأمر النبي ﷺ؟!. يعني لو قلنا نبدأ في هذا المسجد الذي بُني حديثاً نبدأ فيه حِلقاً لتحفيظ القرآن، فجمعت بعض الناس وبدأت أحفظهم، فلما ذهبت من المسجد تتابع الناس على تحفيظ القرآن وحفظه وقراءته، من بهذا قد سنّ السنة الحسنة؟ أكون بهذا قد سننت السنة الحسنة، الشخص الذي بدأ هذا الأمر هو الذي سنّ سنة حسنة.

وحفظ القرآن وتعليمه أمر جاء به الدين، والنبي ﷺ، كما في «صحيح

البخاري» من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[1]، ولكن أنت قد سننت سنة حسنة. كوني أحييت هذه السنة وهذا الخير.

الآن أنت لو فعلت شيئاً، كأن تصدقت لِفِعْلِ كذا أو فعلت بنفسك كذا من الخير المشروع، فاقتدى الناس بك، فأنت قد سننت للناس سنة حسنة، فهذه هي السنة الحسنة، الشيء الذي سننته للناس، وله أصل في الدين؛ لا أن تخترع شيئاً لا وجود له في الدين بهذه الهيئة أو بهذه الصفة أو بهذه الكيفية ثم لما يقال لك: الزم سنة النبي ﷺ تقول: لا هذه بدعة حسنة، ولا حرج في هذا.

ينبغي أن نصفّي المعتقدات والأعمال، وأن نصفّي حياتنا من كل بدعة في دين رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والكلام هنا عن البدع في الدين، أما البدع الدنيوية فإنها تدخل في البدعة من حيث المعنى اللغوي، فالبدعة في اللغة هي: الشيء الذي أُحدث على غير مثال سابق. فالسيارة من الناحية اللغوية تعتبر بدعة، لكن هذا شيء لا تعلق له بالدين، من الناحية الشرعية ينظر هل في السيارة أو في ركوبها أو في استعمال الهواتف أو في استعمال أجهزة الحاسوب والإلكترونيات الحديثة وكذا وكذا، هل في هذا ما يتعارض مع الشريعة؟ فما كان منه يتعارض مع الشريعة فهو حرام، وما لم يتعارض مع الشريعة -كمثل هذه الأمثلة التي ذكرتها -السيارات والعمارات و

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

و... إلخ فهذا كله لا حرج فيه ولا شيء فيه[١]، ولا دخول له أصلاً في كلامنا ولا في كلام النبي ﷺ؛ فالنبي ﷺ يقول: «**من أحدث في أمرنا هذا**»[٢]، يعني: في ديننا.

بعض الجهلة يقول: أنتم تقولون: بدعة... بدعة... اركبوا الجمال، لا تركبوا السيارات. نقول: هل النبي ﷺ قال: لابدّ أن تركب الجمال؟ أو هل فعل هذا؟ وهل وجدت السيارات في عهده فتركها وركب الجمال؟ والله لو كانت السيارات موجودة في زمن النبي ﷺ ثم تركها وركب الجمال إذاً كان يلزمنا أو ينبغي علينا، اقتداءً بسنته أن نركب الجمال. لكن في زمانه ﷺ كانوا يركبون الجمال والخيل والحمير والبغال... لم يكن عندهم دواب أخرى. ولا تعارض في هذا مع هذا، هذا لا يضاد الشرع، وليس ابتداعاً في الدين، بل هو من أمر الدنيا، هذا أمر دنيوي، لكننا نتكلم عما يُتقرب به إلى الله، والذي ينبغي أن نحرص عليه أن نكون خالصين مخلَصين مخلِصين، وعلى أن نكون متبعين في ديننا لكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ.

لسنا كغيرنا، لسنا كالنصارى في القرون الوسطى وإلى الآن، كان الباباوات ومازالوا يتحكمون في أتباعهم، يبتدعون لهم في الدين أموراً ما أنزل الله بها من

---

(١) أي في الأصل ما لم يستعمل في معصية، وإلا فللوسائل أحكام المقاصد. (م)

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)؛ ومسلم (١٧١٨) كلاهما من طريق إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

سلطان، ويحظرون عليهم أموراً دنيوية لا حرج فيها، بل ربما من كان يكتشف أو يبحث في العلوم الحديثة يحكمون عليه بأنه ساحر ولا بدّ أن يُحرَق، وكذا وكذا. لذا لما رأى بعض الغربيين هذا الأمر من الكنيسة، وكذا، نبذوا الكتب ونبذوا الدين، وقالوا: لابد للنهضة من ثورة على الكنيسة، وهذا حق في الكنيسة، لأنها ليست على منهج الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، أما الدين الحق: الإسلام الذي أنزله الله وحفظه من التبديل والتحريف، فلا. لو حرَّفَ مُحرِّف أو غَيَّر مُغيِّر أو تكلَّم مُتكلِّم بباطل أو خالف مُخالِف في شيء من الأحكام أو شيء من معاني الآيات والأحاديث، فإنك لابد أن تجد حُماة وأئمة يذبّون عن دين الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ويحفظ الله بهم دينه من كل تغيير؛ والإسلام لا يعارض هذه العلوم الحديثة، ما لم يكن فيها شيء يخالف شرع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فالحمد لله الذي أنعم علينا بهذه النعمة العظيمة نعمة الإسلام.

الحمد لله الذي جعلنا مسلمين، وإن كان كثيرون لا يدركون عِظم نعمة الله تعالى عليهم في كونهم مسلمين، كثيرٌ من المسلمين لا يدرك مدى نعمة الله ومنّة الله عليه في أن جعله مسلماً وأنه لم يجعله كافراً، ينبغي أن نعرف هذا جيداً وأن نحمد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن جعلنا مسلمين، ونسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يثبتنا على الإسلام والسنة حتى الممات وأن يقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(٧) توحيد المقصد والسبيل في الدين

أو

افتراق الأمة وبيان صفات الفرقة الناجية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

لا زلنا في الكلام على كلمة الإخلاص والشهادة للنبي ﷺ بالرسالة، في الكلام على الشهادتين؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدخل في

معناها وفي الكلام عليها وفي تحقيقها أمور يجب أن توضح وأن تبين وأن يُعلَّمها الناس.

ينبغي أن يعلم الناس (**توحيد المقصد وتوحيد السبيل في هذا الدين**) إن كلمة التوحيد إذا ما التزمها المسلمون حقًّا ووحدوا الله تعالى صدقاً وأفردوه تعالى بالربوبية والإلهية والأسماء والصفات، وقاموا بمقتضى هذا التوحيد من إقامة شرع الله وإقامة دينه وطاعته وتحقيقه في كل صغير وكبير، فإنك ستجد جميع المسلمين على قلب رجل واحد، وعلى منهج واحد وعلى طريق واحد، وكذلك إذا شهدوا أن محمداً رسول الله حق الشهادة، وفهموا هذه الشهادة على ما ينبغي أن تُفهم، فإنهم جميعاً اتخذوا إمامهم وجعلوه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ليس لهم إمام مطلق غيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يتّبعونه ويتابعونه ويطيعونه بلا شرط ولا قيد؛ لأن ما أمر به رسول الله ﷺ فقد أمر الله به، وما نهى عنه رسول الله ﷺ فقد نهى الله تعالى عنه.

فهاتان الشهادتان الأولى فيها توحيد المُرسِل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بتوحيد الربوبية والإلهية والأسماء والصفات، والثانية فيها «توحيد المتابعة للمُرسَل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»، فلا تتخذ إماماً سواه، ولا تتخذ لك شيخاً ورئيساً وقائداً - يعني يُسمع له في كل ما يقول، ويُطاع في كل ما يأمر به، ويُنتهى عن كل ما زجر عنه - إلا النبي ﷺ، ويلزم على هذا ويلزم من هذا أن يكون المسلمون جميعاً على

منهج واحد وعلى طريق واحد وعلى منهج واحد وفي جماعة واحدة وفي درب واحد؛ هذا إذا حققوا هاتين الشهادتين حقًّا وصدقاً.

أما إذا حصل الخلل في فهم هاتين الشهادتين، وأما إذا حصلت المخالفة لإحدى هاتين الشهادتين، وأما إذا حصل النقض لإحدى هاتين الشهادتين، فإنك لابد أن تجد المخالفة، والتي ينبني عليها تفرق المسلمين وتَشَرْذُمَهُم واختلافهم إلى فرق وأحزاب وجماعات وأشياء ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، ونهى الله تعالى عنها المؤمنين، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

وما للمسلمين لا يكونون متوحدين وكتابهم واحد وربهم وإلههم واحد ونبيهم ﷺ واحد، ولكن الجهل والهوى هم المفرقان المدمران، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والله – تعالى – في غير ما آية من كتابه بيّن لنا الصراط المستقيم، الذي نرجو الله تعالى في كل ركعة من صلاتنا أن يهدينا إياه ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة]، بيّن الله تعالى هذا الصراط وبيّن المراد به، وبيّن حقيقته وحاله في غير ما آية من كتابه الكريم، منها هذه الآية

التي ذكرتها آنفاً في سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

كما جاء في «مسند الإمام أحمد» و«مسند ابن أبي عاصم» بأسانيد قد قواها بعض أهل العلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خط خطا بيده، ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيما**»، قال: ثم خط عن يمينه، وشماله، ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام][1].

فإنما النجاة في هذا السبيل الواحد الذي هو سبيل الله.

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ [النحل].

ومن حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن جعل الناس في هذا الكون مسلمين وكفاراً،

---

(١) رواه أحمد (٤١٤٢)، (٤٤٣٧)؛ والدارمي (٢٠٨)؛ وابن أبي عاصم في «السنة» (١٧)؛ والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٠٩) وغيرهم من طريق عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الألباني في «ظلال الجنة»: إسناده حسن.

سنيين ومبتدعين، أصحاب استقامة وأصحاب اعوجاج، حتى يبتلي الناس، وحتى يبتلي أهل الاستقامة بأهل الاعوجاج، وحتى يرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - وهو أعلم بعباده - هل يستقيم عباده على الحق أم عنه يرتدون. وهل يهتدي الضالون إلى الحق ويسعون إليه، أم عنه يحيدون وفيه لا يتفكرون؟

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في سورة النحل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾.

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما في سورة الحجر، بقراءة يعقوب الحضرمي: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا الكلام لإبليس لما قال له إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر].

وجاء في ملفوظات محمد إلياس الكاندهلوي أمير جماعة التبليغ الصوفية يقول: «قال أبو الحسن الندوي: المسلمون قسمان الذين يخرجون والذين ينصرون الذين يخرجون»، يعني: إما أن تكون خارجاً في منهجهم المبتدع، وإما أن تكون ناصراً لمن يخرج. طيب أنا لا أكون معكم فيما تفعلون، ولا أنصركم فيما تفعلون، هل أنا

مسلم أم غير مسلم؟!، فهم يجعلون الإسلام الحق في جماعتهم وفي حزبهم، من لم يتبع حزبهم الذي أسسه رجل منذ أقل من ثمانين عاماً أو منذ أقلّ من مائة عام والذي ظل المسلمون أكثر من ثلاثة عشر قرناً ما يعرفونه، من لم يتبعه فهو ناقص في دينه وعنده خلل في إيمانه وعنده كذا وعنده كذا.

ثم فرقة أخرى جعلت نفسها جماعة المسلمين وكفرت من سواها - كفرقة التكفير والهجرة - حتى بنوا على هذا أن المجتمع هذا يعيش فيه المسلمون مجتمع كافر، وأن الحكومة التي تحكم الناس حكومة كافرة، فلابد من اعتزال المجتمع، ولابد من الهجرة، وهذا كله من أثر هذا الضلال المبين، ومن أثر عدم اتباع منهاج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والنبي ﷺ قد أخبر بهذا الذي سيكون، وأخبر أن كثيراً من الناس سيكون فهمهم للدين على ما يَهْوَوْن، وأخبر بغربة من يتمسك بحقٍ بهذا الدين، ومن يتمسك بالكتاب والسنة كما أمر الله تعالى أن يُتَمَسَّك بهما، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء**»[1]، والله لم ينقسم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى مسعودية وبكرية وعلوية وعمرية وعثمانية وطلحية وزيدية؛ لم ينقسموا ولا عرفوا هذا التفرق، إنما أحدثه من كانوا بعدهم لمّا خالفوا نهجهم وتركوا سبيلهم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نسأل الله تعالى أن يمسكنا بسبيلهم وأن يجعلنا على نهج النبي ﷺ وألا يجعلنا ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء]، نسأل الله تعالى ألا يجعلنا من هؤلاء، وأن يجعلنا من السائرين على كتابه وسنة نبيه ﷺ.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين وأذل الكفر والكافرين، اللهم عليك بأعداء الدين من كل ملَّةٍ يا رب العالمين، اللهم دمر جيوش الكافرين، اللهم وفق ولاة أمور المسلمين لما تحب وترضى وخذ بنواصيهم إلى البر والتقوى.

(٨) عظم فضل الصلاة وأهميتها

۞ الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

النبي ﷺ، كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام**

الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»[١].

وفي حديث جبريل المشهور الثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة، وفي صحيح مسلم من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام: قال: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، **وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**»[٢].

ويقول النبي ﷺ، كما في الحديث المتواتر الثابت الصحيح عنه ﷺ، الذي أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عمر وغيره قال ﷺ: « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٨)؛ ومسلم (١٦) كلاهما من طريق حنظلة بن أبي سفيان، عن عكرمة بن خالد، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)؛ ومسلم (٩) كلاهما من طريق إسماعيل بن إبراهيم، عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه مسلم (٨) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) كلاهما من طريق شعبة، عن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ويقول الله جَلَّوَعَلَا في ذكر بعض الكافرين: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ ﴾ [التوبة: ٥].

ويقول الله سبحانه: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التوبة].

هذه الآيات وهذه الأحاديث تبين فضل الصلاة وعظيم موقع الصلاة في الإسلام وأن الصلاة فرض من أهم الفرائض بل هو أهم الأركان على الإطلاق بعد الشهادتين، وهو الركن الأعظم العملي بعد الشهادتين حتى كان الاختلاف المشهور بين القديم والحديث من علماء السنة في تكفير تارك الصلاة – تكاسلاً – وعدم تكفيره، وإن كان الجمهور من المتأخرين خصوصاً على عدم التكفير، لكن القول بتكفير تارك الصلاة قال به أئمة أجلاء من العصر الأول إلى يومنا هذا، فالأمر عظيم والخطب جسيم في التفريط في هذه الصلاة، وفي هذا الركن العظيم الذي لا أحصي ما جاء في القرآن وفي سنة النبي العدنان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من الأمر به، والحث عليه، وبيان فضله، وتأكيد منزلته في هذا الدين؛ فلذلك كان المنبغي على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يعتني بإقام الصلاة وتأديتها على الوجه الذي يرضاه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، يؤديها في مواقيتها في

المساجد في الجماعات بالخشوع والخضوع والتذلل لله رب العالمين، على الصفة التي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يؤديها عليها، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

بيّن الله تعالى سبيل النجاة، وقال الله سبحانه: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ[1] مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر]؛ من سلك هذا الصراط وثبت عليه؛ فإنه قد صار إلى النجاة وصار إلى الفوز الذي جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأوليائه الصالحين، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مخاطباً نبيه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام].

ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم كثير من حديث غير واحد من الصحابة، كعبد الله بن عمرو وأنس ومعاوية وأبي هريرة وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، أن النبي ﷺ قال: «**افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى**

(١) وفي قراءة يعقوب ﴿ صِرَٰطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ ﴾. (م)

أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[١]، وفي حديث معاوية: «**وهي الجماعة**»[٢]، وفي بعض الروايات بإسناد فيه ضعف: أنهم قالوا: من هي يا رسول الله، قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[٣]، وهذا هو معنى الجماعة، فإن الجماعة كما يقول الإمام البربهاري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - في كتابه «شرح السنة»: «والأساس الذي تبنى عليه الجماعة هم أصحاب رسول الله ﷺ»[٤]، بيّن ﷺ أن النجاة لمن اتبع هديه وسار على منهجه، وكان على المعتقد والمنهج الذي عاش

---

(١) رواه أحمد (٨٣٩٦)؛ وأبو داود (٤٥٩٦) واللفظ له؛ والترمذي (٢٦٤٠)؛ وابن ماجه (٣٩٩١)، وغيرهم من طريق محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وانظر: «السلسة الصحيحة» (٢٠٣).

(٢) هذه الزيادة رواها أحمد (١٦٩٣٧)؛ وأبو داود (٤٥٩٧)؛ والدارمي (٢٧١٣) جميعهم من طريق صفوان قال: حدثني أزهر بن عبد الله الهوزني عن أبي عامر عبد الله بن لحي عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٢٠٤).

(٣) هذه الزيادة رواها الترمذي (٢٦٤١)؛ وابن وضاح في «البدع» (٢٥٠)؛ وابن بطة في «الإبانة» (١)، (٢٦٤)، (٢٦٥)؛ واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٤٧) وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن زياد الأفريقي، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وضعفه الألباني وقال: علته عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف، انظر: «مشكاة المصابيح» (١/ ٦١).

(٤) انظر: «شرح السنة» للبربهاري (ص/ ٣٥).

النبي ﷺ عليه ومات ﷺ عليه، ورَبَّى الصحابة عليه، وعاشوا عليه، وماتوا عليه، وورثه عنهم مَن بعدهم ممن اتبع هديهم وسلك سبيلهم ولم يفارق جماعة المسلمين.

وما ظهرت البدع إلا في أواخر عهد بعض الصحابة، فبدأت تظهر فتنة الخوارج وفتنة القدرية وفتنة غيرهم من أهل البدع والضلال وأهل الخروج عن جماعة المسلمين، بدأت ثم تفرعت ثم كثرت، وتظهر فرق أخرى وتظهر أحزاب أخرى بأسماء جديدة وبمسميات محدثة، كلما مضت فرقة أو مضى حزب منها وجدت فرقة بل فرق أخرى تحت منهج الفرقة الأولى باسم جديد وبظاهر جديد، ولكن الضلال هو الضلال والاستمرار في البعد عن سبيل الله هو الاستمرار، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ومن أعلام ودلائل نبوته ﷺ أنه في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم تكن الأمة إلا فرقة واحدة، لكن النبي ﷺ بوحي من الله إليه أخبر عما لم يكن قد وقع، وأخبر أن هذه الأمة ستفترق، وهذا هو الذي حصل بعد هذا.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما كان يوحى إليه من الله، ولم يكن ينطق عن الهوى ﷺ، فإنه قد بيّن لنا سبيل النجاة وسط هذا التفرق، ووسط هذا التشرذم، ووسط هذا التشتت، فقال: «**كلها في النار**»، أنّ كلها متوعدة بالنار، فالراجح أن معنى كونها من الأمة أنهم مسلمون؛ يعني: ليسوا مخلدين في النار، فقوله «**كلها في النار**»

معناه أنهم متوعدون بالنار كما تُوُعِّد القاتل بالنار، وتُوعِّد الزاني بالنار، وتُوعِّد السارق بالنار، لكن كل هذه الفرق المتوعدة بالنار ليست مخلدة في نار جهنم، لأنهم من أهل القبلة، وإن لم يكونوا من أهل النجاة من أهل السنة، لكنهم متوعدون بالنار بمعنى أن الله تعالى إذا لم يعف عنهم فإنهم يعذبون بمقدار انحرافهم وابتداعهم وحيدهم عن منهج النبي ﷺ في النار - والعياذ بالله - وهذا أمره إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لذا كان السلف يُخرجون من كان كافراً من فرق الضلا عن هذه الفرق الاثنتين والسبعين، كالروافض والجهمية وغيرهم، كانوا يخرجونهم من الاثنتين والسبعين فرقة، أما فرق الضلال فرق المبتدعة التي هي من هذه الأمة، فهؤلاء داخلون في عداد هذه الفرق الهالكة، ولا يعني هذا أنهم قد خرجوا عن أمة الإسلام، لكنهم متوعدون التوعدَ الشديدَ، كما في كلام النبي ﷺ: «**كلها في النار إلا واحدة**»، «**وهي الجماعة**»، والجماعة هي، كما جاء عن بعض الصحابة كابن مسعود، قال: «الجماعة الحق وإن كنت وحدك»[1]، والجماعة أساسها ما اجتمع المسلمون في عهد

(١) رواه اللاكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (١٦٠)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٦/ ٤٠٩) كلاهما من طريق الأوزاعي عن حسان بن عطية عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني، انظر: «مشكاة المصابيح» (١/ ٦١).

النبي ﷺ وما اجتمع عليه المسلمون بعد النبي ﷺ في زمن الصحابة، فإن عموم المسلمين كانوا على الاستقامة وكانوا على العقيدة الصحيحة وكانوا على المنهج السليم القويم.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد أخبر أيضاً في حديث آخر بما سيكون بعد موته من الاختلاف الكثير كما في حديث العرباض بن سارية « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافا كثيراً**»، ها نحن قد عشنا أكثر من أربعة عشر قرناً بعد وفاة النبي ﷺ، ورأينا الاختلاف الكثير في مظاهر المسلمين وفي عباداتهم وفي معاملاتهم، بل قبل كل هذا في عقائدهم ومبادئهم، لكن النبي ﷺ أرشدنا عند مشاهدتنا لهذا الاختلاف الكثير أن نلجأ إلى أي شيء وأن نكون على أي شيء؟ قال ﷺ: « **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة** »[1].

نسأل الله تعالى أن يجنبنا المحدثات في الدين، والفتن ما ظهر منها وما بطن.

۞ الخطبة الثانية: صفات الفرقة الناجية

---

(١) رواه أحمد (١٧١٤٤)، (١٧١٤٥)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤) جميعهم من طريق ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عبد الرحمن بن عمرو، عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين كالمبتدعة والمشركين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آل بيته وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أمر المسلمين جميعاً أن يعتصموا بحبله ولا يتفرقوا، وأن يكون مقتضى تمسكهم بهذا الإسلام هو اتحادهم على الفهم الصحيح لهذا الدين؛ يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [آل عمران].

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أمرنا أن نجتمع، وأن نكون نحن المسلمين جماعة واحدة، لكن هذه الجماعة الواحدة التي ينبغي أن يكون المسلمون فيها وأن ينضموا تحت لوائها، هذه الجماعة ينبغي أن تكون مجتمعة على الحق، ينبغي أن تكون سائرة على الحق، ينبغي أن تحقق كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، ينبغي أن تحرص على

العقيدة الصحيحة قبل أن نتكلم عن جمع الصف ولمّ الشمل، وإلا فلا فائدة أن نجتمع في الظاهر وأن نكون متوحدين في الظاهر، لكننا في الحقيقة فيما بيننا نتصارع ونتعارض ونختلف ونفترق في رب العالمين سبحانه، وفي توحيده وصفاته، وفي سنة النبي ﷺ وفي أمور بُيِّنت في القرآن، كما يقول شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] بياناً شائعاً ذائعاً ومع هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كذلك هذه الجماعة هذه الفرقة الناجية التي ذكرها النبي ﷺ ينبغي أن نعلم أنها منصورة، وأنها لابد أن تظل إلى قيام الساعة، لا تنقطع هذه الطائفة الناجية، ولا يكون لها انقطاع إلى أن تقوم الساعة، لابد في كل عصر وفي كل زمان أن يكون هناك من يقوم بهذا الدين حق القيام من هذه الفرقة الناجية، والنبي ﷺ، كما جاء في حديث غير واحد من الصحابة، عنه ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»[2] هذه الطائفة المنصورة لما سُئل عنها الإمام البخاري والإمام أحمد ويزيد بن هارون والإمام علي بن المديني، والإمام أحمد بن سفيان القطان، وغيرهم من أهل العلم والسنة؛ لما سُئلوا عن هذه الطائفة المنصورة - نصاً أو معنى - قالوا: إن لم يكونوا أهل

---

(١) في أول «الأصول الستة». (م)

(٢) أخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري بنحوه (٧١) من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الحديث فلا ندري من هم؟، وكذلك الإمام أحمد لما سُئل عن الفرقة الناجية في حديث افتراق الأمة قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم»[1].

فأهل الحديث هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.

من هم أهل الحديث؟

هم الذين يتبعون حديث النبي ﷺ علماً وعملاً واعتقاداً.

من هم أهل الحديث؟

هم ملازموا جماعة المسلمين، والاستقامة على منهجهم استقامة على منهج جماعة المسلمين الذي يكون به الإنسان معتصماً من الضلال ومن الفُرقة ومن الابتعاد عن سواء السبيل.

أهل الحديث هؤلاء هل هم فرقة مبتدعة؟ هل لهم طريقة لها شيخ وله أتباع؟ هل تحتاج حتى تكون من أهل الحديث وحتى تكون من الفرقة الناجية والطائفة المنصورة أن تبايع أميراً من أمراء الجماعات؟ أو تسجل في حزب من الأحزاب؟ أو أن تدخل في طريقة من الطرق؟ أو أن تأخذ عهداً على شيخ من مشايخ

(١) والآثار في «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي، وغيره. (م)

الصوفية؟

لا، أنت لا تحتاج حتى تكون من أهل الحديث والسنة إلى شيء من هذا، أنت لا تحتاج إلا إلى شيء واحد، أن تلزم منهاج النبي ﷺ علماً وعملاً واعتقاداً، وألا تنطوي تحت لواء أي فرقة من الفرق المحدثة، أو تحت لواء أي جماعة من الجماعات المحدثة، أو تحت لواء أي طريقة من الطرق المحدثة، التي فرّقت المسلمين، وشتّتت شملهم بما فيها من الجهل، وبما فيها من المناهج والاعتقادات الباطلة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ينبغي أن نكون جميعاً متحدين على الحق، متآلفين عليه غير متفرقين ولا متشتتين، نجتمع على معتقد أهل السنة والجماعة، على المعتقد السني الذي يجتمع عليه المسلمون، الذي علمنا إياه النبي ﷺ؛ أما هذه الفرق الكثيرة التي نسمع عنها في القديم والحديث؛ من الجهمية والروافض، على اختلاف أصنافهم، والمعتزلة والإباضية من الخوارج، وطرق الصوفية الكثيرة، التي منها في بلادنا مصر وحدها -الطرق الرسمية – ما يبلغ سبعين طريقة، ودين الله في أي طريقة من هذه الطرق؟!!؛ الخليلية القادرية الشاذلية العزمية كذا... كذا... كذا! ثم الفرق والجماعات الحديثة؛ جماعة التبليغ، جماعة الإخوان، جماعة الجهاد، جماعة التكفير والهجرة، جماعة كذا؛ كل هذا ما أنزل الله به من سلطان، ومن دعا الناس إلى جماعة مستقلة تستقل عن باقي المسلمين فقد حاد عن سواء السبيل، وقد أضل

نفسه وأضل من تبعه؛ لأنه جعل دين الله تعالى محصوراً فيه ومحصوراً في جماعته، كما كان «حسن البنا» يقول في «مجموع رسائله»: «دعوة الإخوان المسلمين أو دعوة الإسلام في القرن العشرين»، فيجعل دعوة الإسلام في القرن العشرين هي دعوة الإخوان المسلمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(٩) حقيقة الحياة الدنيا

❁ الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

يقول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم في سورة الحديد: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ

ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة فاطر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾.

ويقول سبحانه في سورة لقمان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾.

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة يونس: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

ويقول الله سبحانه في سورة الكهف: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا

وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾.

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة آل عمران: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾.

الآيات في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ كثيرة تبين حقيقة هذه الدنيا الفانية، هذه الدنيا التي نعيش فيها أياماً قليلة، لم يبقى لنا فيها إلا أيام أو ساعات أو دقائق أو لحظات، ربما تكون حياتنا ممتدة إلى شهور، إلى سنوات، لكن مآلنا جميعاً إلى الموت، وأن نلقى ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيجازينا على أعمالنا؛ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة].

ويقول رب العالمين سبحانه: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر].

فينبغي علينا - عباد الله - أن يكون اهتمامنا بما يبقى ولا يفنى، أن تكون قلوبنا معلقة بالآخرة؛ هذه الآخرة التي لا تساوي الدنيا معها شيئاً، الدنيا لا تساوي مع الآخرة شيئاً.

ففي «صحيح مسلم» من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا، والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا، من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا، والله يا رب ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط**»[1].

هذا يكون يوم القيامة، حينما تختفي هذه المظاهر الكاذبة وهذه الأمور التي يتعالى بها بعض الناس على بعض في الدنيا؛ هذا بجاهه وهذا بسلطانه وهذا بعلوه وهذا بعتوه وهذا بأسلحته وجبابرته، هذا يعتدي على هذا، وهذا يأخذ مال هذا،

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٧) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا يطلب من هذا بغير حق؛ كل هذا يوم القيامة كيف يكون أثره في إدخال هذا الجنة أو إدخال ذاك النار؟ بمعنى هل يكون الناس على ما كانوا عليه في الدنيا كما يقول هذا الجاهلي الذي حكى الله تعالى عنه في سورة فصلت حينما يقول: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، وفي سورة الكهف يقول: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾. لا يكون الأمر هكذا، إنما يجازى الإنسان على ما كان منه مما وافق فيه أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو خالف فيه أمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما في الصحيح من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**»[1]، معه يجازى به في قبره.

وكما في الصحيح من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥١٤)؛ ومسلم (٢٩٦٠) كلاهما من طريق سفيان بن عيينة، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: سمعت أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: فذكر الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٩)؛ ومسلم (٢٨٦٦) كلاهما من طريق مالك، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وكما في الصحيح أن النبي ﷺ أخذ بمنكبي ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك»(١).

فينبغي لك أن تكون مستعدًّا للآخرة، وأن تنظر إلى ما يكون لك عند الله يوم القيامة؛ وإياك أن تغتر بالدنيا أو أن تغتر بإمهال الله لك.

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»(٢).

وكما في الصحيح من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ كان يقول لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يوم الخندق: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة**»(٣).

ينبغي جميعاً أن نعلم أن هذه هي الحقيقة. لكن أحوالنا أو ما نراه من أحوالنا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٩٥)؛ ومسلم (١٨٠٥) واللفظ له؛ كلاهما من طريق شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في هذه الحياة لا يتناسب مع علمنا أو مع اعتقادنا بهذه الحقيقة.

هذه الحقيقة هي أن هذه الدنيا زائلة وفانية فينبغي أن نحرص فيها على التزود للآخرة، وأن نحرص على ما ينفعنا وتجنب كل ما يضرنا من الذنوب والمعاصي والآثام، وقبل كل هذا تجنب كل أنواع الشرك والكفر والبدع والضلالات في الدين.

ينبغي أن نحرص على تصفية قلوبنا وتنقيتها وتصفية وتنقية جميع أحوالنا من كل ما يخالف كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. فينبغي أن نجتنب الشرك في عبادة الله وأن نجتنب الابتداع في الدين، وغير ذلك من أنواع الذنوب والمعاصي وأن نصفي قلوبنا وأعمالنا منها؛ حتى نلقى الله سبحانه يوم نلقاه بقلب يكون على ما يحب ربنا ويرضى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا على ما يبغض ويسخط.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يهدينا سواء السبيل وأن يرزقنا اتباع سنة نبيه ﷺ.

❁ الخطبة الثانية:

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين كالمبتدعة والمشركين، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين نبينا محمد وعلى آل بيته الأطيبين الأطهرين، وعلى أصحابه الأكرمين الأشرفين.

أما بعد، فيقول النبي ﷺ كما في الصحيح من حديث عمرو بن عوف

الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**»(١).

ويقول ﷺ كما في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إني مما أخاف عليكم من بعدي، ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**»(٢).

هذه الدنيا الغرارة تجعل كافراً يثبت على كفره، تجعل مشركاً يظل على شركه، حتى لو تبين له الحق ربما يظل داعية إلى الشرك ومحرِّضاً عليه ومحافظاً عليه؛ لأنّه إذا زال هذا الشرك وزالت هذه العبادة للقبور والأوثان فإنه سيزول ما له من الجاه والسلطان، وهو حريص على حفظ هذا، فصار مشركاً داعية إلى الشرك لأجل الدنيا، صار كافراً ثابتاً على كفره؛ لأنّه صَعُب عليه أن يسلم، قال: أنا الآن لو أسلمت سأترك مالي وأهلي وأولادي، فيترك الإسلام ويظل على كفره لأجل الدنيا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٨)، (٤٠١٥)؛ ومسلم (٢٩٦١) كلاهما من طريق الزهري، عن عروة بن الزبير، أنه أخبره أن المسور بن مخرمة، أخبره أن عمرو بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبره: وذكر الحديث بطوله.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٥)؛ ومسلم (١٠٥٢) كلاهما من طريق هشام، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كم من مبتدع ضال يعلم أن الحق في اتباع السنة وفي السير على منهج السلف الصالح لكنه آثر الدنيا، آثر الأتباع الكثيرين الذين يعظمونه ويقبِّلون يده ويطوفون حوله ويقدِّسونه، آثرهم على اتباع الحق، لأنه لو اتبع الحق رجع صغيراً، رجع مبتدئاً، هكذا يصدّه الشيطان، كم من إنسان كان يسير على السنة وجرفته الحزبية وجرفته الأهواء؛ لأنه انجرف مع الدنيا، لم يجد في سبيل الاستقامة مالاً، لم يجد في اتباع السلف الصالح ما طلب وأمَّل من الجاه وكثرة النقود والسيارات، لكن وجدها في الحزبية والضلالة والهوى، فانجرف.

وفي صحيح مسلم من حديث المستورد بن شداد: «**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، فلينظر بم ترجع؟**»[1]، لا ترجع بشيء، هذه هي الدنيا.

وكما في «جامع الترمذي» و«صحيح ابن حبان» وغيرهما بإسناد صحيح عن كعب بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول النبي ﷺ: «**إنّ لكل أمة فتنة، وإنّ فتنة أمتي المال**»[2]، كثيراً من الناس يقبلون أنواعاً من الرشاوي، يقبلون التعامل بالربا،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٥٨) من حديث المستورِد بن شدّاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أحمد (١٧٤٧١)؛ والترمذي (٢٣٣٦)؛ والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٧٩٥)؛ وابن حبان (٣٢٢٣) وغيرهم، من طريق الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن كعب بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

ويقبلون هذه المعاملات والأعمال المحرمة، وكل هذا لتحصيل وجلب المال.

وكم من غني اكتسب هذا المال من الحلال والحرام؟ ثم إذا به صار فقيراً بمعاملة بورصة محرمة أو بتلاعب من هنا أو بسرقة من هنا أو هناك؛ فهذا أمر ثان زائد.

والنبي ﷺ يرشد المؤمنين أن تكون قلوبهم معلقة بالآخرة وألا ينظروا في هذه الدنيا إلى من هم فوقهم. كما في الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله**»(١)؛ انظر إلى من تحتك ستجد أنك في نعمة عظيمة، وهذا أحق ألا تزدري نعمة الله عليك، وفي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول ﷺ: «**تعس عبد الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض**»(٢) والله تعالى ذكر هذا عن المنافقين فقال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

ينبغي للإنسان أن يكون راضياً بما قسم الله تعالى له من أمور الدنيا، وأن يكون حريصاً على التزود للآخرة؛ لذا لما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الآية التي قرأناها

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٦)، (٦٤٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في سورة الحديد: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾[الحديد: ٢٠]، قال تعالى بعدها: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾[الحديد: ٢١].

وقال تعالى بعد آية يونس: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ ﴾ الآية.

قال الله تعالى بعدها: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[آل عمران].

هذا جزاء هؤلاء المتقين وجزاء هؤلاء الصالحين أن يكونوا في جنات النعيم.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الجنة وألا يجعلنا من أهل النار، وأن يجعلنا

من أصحاب الزهد في الدنيا، وأن يجعلنا من أصحاب الإقبال على الآخرة.

نسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يحفظنا ويحفظ سائر المسلمين، وأن يرد عنا وعنهم كيد أعداء الدين.

اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين واحشرنا في الآخرة مع خاتم المرسلين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا هداة مهتدين

غير ضالّين ولا مضلّين

اللهم احفظ علينا ديننا وتوفنا مسلمين.

الفهرس

(١) الإيمان بالله ٥
(٢) توحيد العبادة (الألوهية) ١٨
(٣) توحيد الأسماء والصفات ٣٣
(٤) التوسل ٤٥
(٥) بيان معنى «لا إله إلا الله» ٦٣
(٦) الأمر بالاتباع والتحذير من الابتداع في الدين ٨١
(٧) توحيد المقصد والسبيل في الدين ٩٧
(٨) عظم فضل الصلاة وأهميتها ١٠٤
(٩) حقيقة الحياة الدنيا ١١٧
الفهرس ١٢٩

رسائل سلفية منهجية

١. المنتقى من كتاب «العلل الصغير» في (تأصيل الكلام في الرجال)
٢. جزء مختصر في حكم مناظرة أهل البدع والأهواء
٣. التنبيه على مسائل مجمع عليها عند علماء أهل السنة والجماعة
٤. رسالة في التذكير والتنبيه على براءة الإمام الألباني من الإرجاء
٥. إشارات إلى بعض ما عند عمران حسين من بدع وضلالات وخرافات
٦. بيان شيء من حال محمد العيد الخطراوي بنقل سيرته الذاتية
٧. تنبيهات على ما في بعض المحاضرات (لعبد الكريم الخضير)
٨. تنبيهات على كتاب تخليص العباد من وحشية أبي القتاد
٩. أسئلة لمن ادّعى السلفية بغير حق
١٠. كلمات للعلامة الوادعي رحمه الله تعالى
١١. تركيا العلمانية

كتبها
محمد بن إبراهيم
سدّده الله

مكتب العقيدة الإسلامية

رسائل لأئمة الدعوة النجدية
في بيان توحيد ربّ البرية

١- **رسالة في بيان التوحيد**
لشيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

٢- **شرح أصل دين الإسلام وقاعدته**
للإمام الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

٣- **بيان توحيد رب العالمين والردّ على شبهات المشركين**
للقاضي العلامة عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناصري رحمه الله

٤- **رسالة في بيان معتقد تلامذة وأحفاد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب**
للعلامة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله تعالى

٥- **فتاوى في معنى لا إله إلا الله**
للعلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين رحمه الله تعالى

٦- **رسالة في التوحيد والاجتماع والسمع والطاعة**
للشيخ العلامة عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حمد بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

عليها تعليقات

لمحمد بن إبراهيم

غفر الله له

مكتب العقيدة الإسلامية

الكلام النقي

في

الاعتقاد السلفي

كلمات

للشيخ العلامة/ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله

وعليها تعليقات

لمحمد بن إبراهيم المصري - سدده الله -

قام بالتفريغ والإعداد

بعض طلبة العلم

حفظهم الله تعالى

مكتب العقيدة الإسلامية

حكم الاستعمال والاتجار

في

العطور الكحولية

{وما في بابها}

جمع وتأليف

محمد بن إبراهيم

المصري الأثري

- غفر الله له -

مكتب العقيدة الإسلامية

آيات قرآنية
في
بيان حال الأكثرية

كتبه

محمد بن إبراهيم

عفا الله عنه

مكتب العقيدة الإسلامية

شرح مسائل عصرية
في
السياسة الشرعية

ويليه

سؤال وجـــــــواب
في
حكم التصويت والانتخاب

مفرّغ من دروس

لمحمد بن إبراهيم

المصري

سدّده الله تعالى

مكتب العقيدة الإسلامية